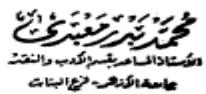


مكتبة



الشعراء العرب الشجاع في الإسلام

المطبعة التجارية الحديثة
٢٢ شارع ادريس راغب - الظاهر
تلفون ٣٣٦٤٩٠ القاهرة

الشـمـالـيـهـ الـرـيـاضـيـهـ

المقدمة

تحدثنا في الكتاب الأول عن (الشعراء الشجعان) في الجاهلية ، حيث أن أكثر شعراء الجاهلية كانوا من الفرسان والأمراء وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم كانت في الحماسة والفاخر بما بين قبائلهم من التنازع ومرجع ذلك كله إلى المصبية ، كل قبيلة تحظى الفضل لنفسها على سواها — فلما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب وذهبت المصبية الجاهلية سلك الشعر طريقاً آخر ، واتخذت الحماسة والفاخر مسلكاً يغاير هذا المسلك الذي سلك في الجاهلية فإذا افتخر الشاعر الجاهلي بقيس أو تميم افتخر الشاعر المسلم بالإسلام على حد قول الشاعر الإسلامي :

أبي الإسلام لا آب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم
وكان هدف الشعراء المسلمين الذود عن دينهم والوقوف ضد من
يحاول أن يمس من قريب أو بعيد الدعوة الإسلامية ، أو أن ينال من
قائدها المظيم محمد ﷺ ، ولذلك كان الرسول ﷺ يشجع الشعراء
الذين نصبو أنفسهم حرباً وداعمين عن الدعوة الإسلامية « ولم
يكن يرى بأسا من انتصار الشعراء له يدفعون عنه أقوال شعراء قريش
الذين جاعت الآية الكريمة بالطعن عليهم ، وتوعدهم الرسول ﷺ ،
ففر بعضهم من وجهه ، ومات البعض الآخر »^(١) .

وقد كان من أشهر من هجا المسلمين ثلاثة : عبد الله بن الزبيري ،
وأبو سفيان ، وعمرو بن العاص ، وأن النبي ﷺ قال للأنصار :
ما يمنع الذين نصروا رسول الله يصلحهم أن ينصروه بالستتهم ،
فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ،
وعبد الله بن رواحة ، وكان يرى لأشعارهم تأثيراً في أعدائه ومن أقواله
« هؤلاء النفر (الشعراء) أشد على قريش من نضح النبل »

(١) العدة ٧ ج ١ وانظر تاريخ أداب اللغة العربية جرجي زيدان .

وقال لحسان مرة : أهجمم (يعني قريشا) غواة لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . أهجمم ومك جبريل روح القدس والنبي يعلمك تلك الهنات^(١) وهذا الترجيّه النبوى قد أثار في صقل مواهب الشعراء المسلمين ، فآتت أكلها عند الفتح وبقائه فقد بدأ المعنى الإسلامي يتضح في الشعر ويعمق ، وصارت الشخصية الإسلامية تتميز عن شخصية الشاعر الجاهلي ، فيبعد أن كان الفخر بقوّة العدة والمعدّ وبلاه القبيلة وكسب المغنم وسيبى العدد ، صار الفخر في شعر المسلمين بتليه الشهادة في سبيل الله وانتصار جند الله وأمة المسلمين على أعداء الله المشركين وصار الكسب كسب رضوان الله ورسوله لا كسب الشاة والبعير ، وكان طبيعياً لذلك أن يكون أسلوب الشعر خاصّاً للمعنى الجديد فجذت لغة الشعر سهلة لينة ابتدأ عن خشونة الكلمة الجاهلية ، وصعوبة تركيب عباراتها ولذلك فليس بعزيز أن يلين شعر حسان ، ويسلس شعر كعب ، أما ابن رواحة فيكاد أن يكون شعره كلام المخاطبين وهو حديث النفس المؤمنة التي تفصح دون اعباء أو تعقيد ، وكان لجودة هذا الشعر وخصبه أن ساهم مساهمة فعالة في نشر الدعوة وأخْفَسَ المشركين والمتزدرين على الدين ، فيكفي أن يتطرق حسان على شاعر تيميم ليسلم ذلك الوفد ويشهد إلا الله إلا الله وإن محمداً رسول الله ، كما أن أبياتاً قالها كعب بن مالك بعد حتى توقع الرعب في قلب دوس فتسارع إلى اعلان اسلامها واستسلامها ، فكان شعر هؤلاء الشعراء سيفاً مصلتاً على رقب المشركين ، وسلاماً ماضياً يبيد رسول الله عليه السلام يخضع به أعداء الدين .

وسار الخلفاء الراشدون على خطّة الرسول عليه السلام في تحرير الناس على الجماد ، فقد رروا لأبي بكر رضي الله عنه قصيدة حماسية قالها في بعض الغزوات كما رروا للخلفية الرابع على بن أبي طالب شمراً كثيراً قاله في صفين^(٢) وفي غزوة بدر حين أرادت الدائرة على المشركين في يوم بدر ، وكتب الله النصر لل المسلمين بهذا العدد القليل ، فانطلقت السنة الشعراء المسلمين تذكر النصر المؤزر الذي خلفه النبي وأصحابه وتعدد

(١) العدة ١١ ج ١

بقربيش وأبطالهم الذين صرعنهم الغي والضلال ولم تفن عنهم كثراً ثم
شيئاً ومن هؤلاء — الشعراو الحمزة بن عبد المطلب ، وكعب بن مالك
فقد روى له ابن هشام ثلاث قصائد ، وحسان بن ثابت وقد روى له
ابن هشام أيضاً سبع قصائد في هذه الواقعة وحدهما ، ومن أشاد
بالمشركين ، وبكي قتلامهم الحارث بن هشام بن المغيرة ، وضرار بن
الخطاب وعبد الله بن الزبيري ، وأبو بكر بن الأسود ، وأمية بن أبي
الصلت ، ومعاوية بن ذهير بن قيس ، وهند بنت عتبة ، ولها أربع قصائد
في رثاء أبيها وقومها وصفية بنت مسافر وهكذا نرى الشعر ينشط في
تلك الفترة نشطاً ملحوظاً ويجرى على المسنة الرجال والنساء ، وقد بلغ
التنافس أوجه بين شعراء الاسلام والمقدمة ، وشعراء الكفر والضلال
فإذا قال شاعر من المسلمين قصيدة في الغير بما كتب الله لهم من النصر ،
تصدى له شاعر من المشركين يحاول أن يهدم فخره وينقض قوله فأن
أنشد الحمزة بن عبد المطلب قصيدة التي مطلعها :

الله تر أمرا كان من عجب الدهر وللحن أمباب مبينة الأمر
أجابة الحارث بن هشام بن المغيرة بقصيدة على روبيها وزتها
الآ يا لقومي للصباية والهجر وللحزن مني والحرارة في الصدر
وحيين يقول على بن أبي طالب في يوم بدر :

الله تر ان الله ابلی رسوله بلا عزیز ذی اقتدار و ذی فضل
و محبه الحال ثبقصده علی و زنها و قافتتها مطلعها :

يجب عليهما التأارت بضميهه على ورثة وليه وعجمت لاقوام تمنى سفيههم بأمر سفاه ذي اعتراف وذى بطل وينشد ضرار بن الخطاب بن مرداس في النيل من الاختصار والتمهيد

بالانتقام منهم :

عجيت لفخر الأوس والحين دائر عليهم عدا والدهر فيه بضمار

ويحييه كعب بن مالك وهو من شعراء النبي عليه السلام بقوله:

عَجِيبٌ لِّأَمْرِ اللَّهِ وَإِلَهٌ قَادِرٌ عَلَىٰ مَا أَرَادَ لَيْسَ لَهُ مَا هُنَّ

ويكى عبد الله بن الزبعرى صرعى بدر من وجوه المشركين بقصيده

ماذا على بدر وماذا حسوله من فتية بيض الوجه كرام

فيشتمت فيه صنوه الشاعر حسان بن ثابت ، ويتعنى أن تكون
دموعه دمًا :

ابك بكت عيناك ثم تبادرت بدم تعلم غروبيها سجام

ولا ينسى ابن الزيمرى شعرة حسان ، فإذا كان يوم أحد الذى
أبى فى المؤمنون أسرع إلى الزهو بما أصاب المشركين في هذا اليوم
الذى ثاروا فيه لقتلاهم فيقول قصيدة التي أولها :

يا غراب البنين أسمعت فقل إنما تطلق شبئنا قد فعل

ولا ينسى أن يشتقى بحسان بن ثابت الذى سأله البكاء الطويل
والحزن المقيم يوم بدر فيقول :

أبلغوا حسان عن آية فقرissen الشر يشفى ذا اللآل

ويذكره حسان بيوم بدر وما نال المشركين فيه ، وبأن الأيام دول
فيقول :

نزلت بابن الزيمرى خبره كان هنا الفضل فيها لو عدل
ولقد ثلتم وثلنا منكم وكذلك الحرب أحيسانا دول

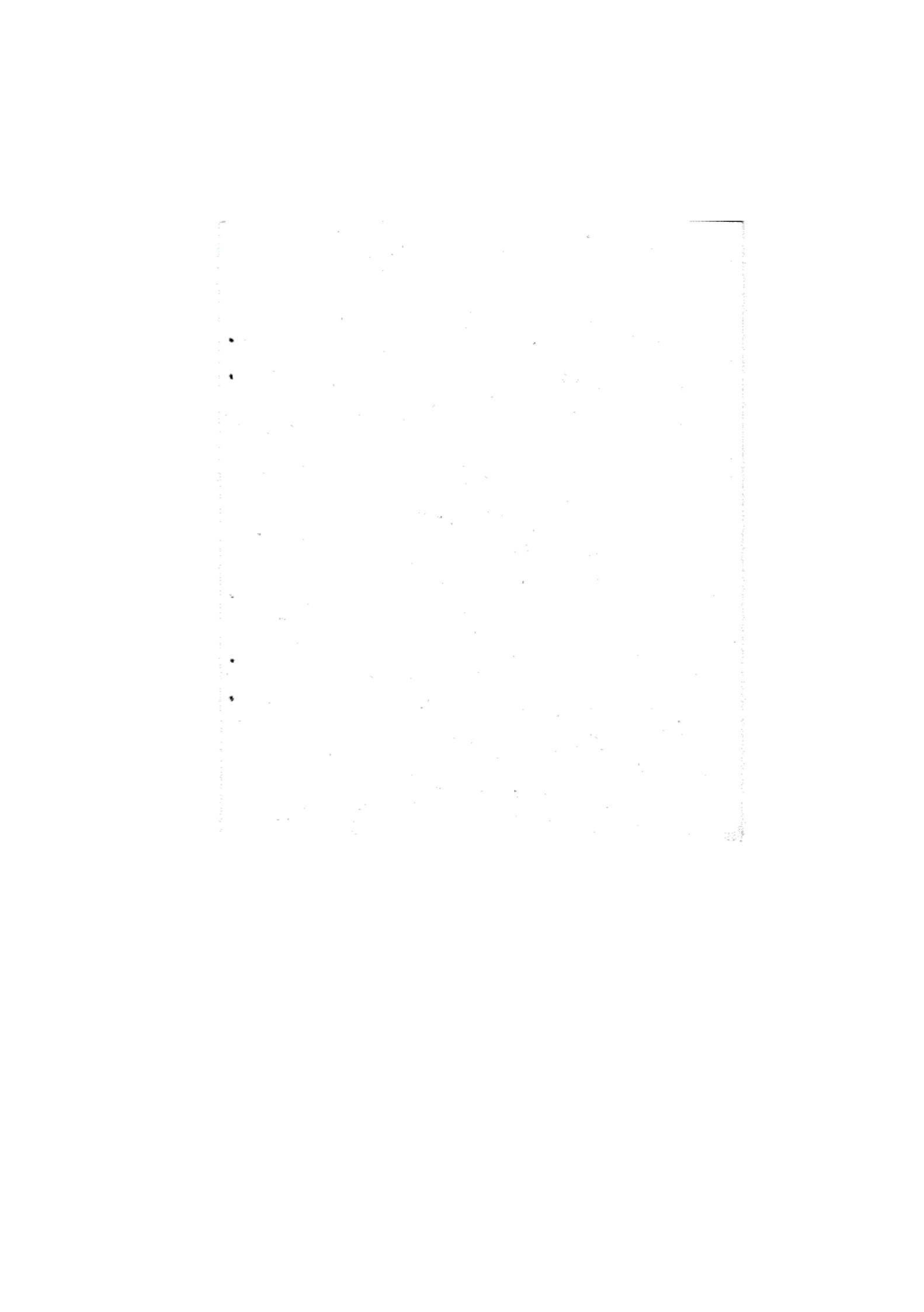
وقد سبق أن قلنا أن النبي ﷺ كان يشجع شرفاءه ، وبعد قوله
جهادا في سبيل الدين ، وأن فعل شعرهم لا يقل في الاعداء عن فعل
السيوف التي يحملها المغاربة في رقلب أعدائهم المشركين^(١) .

(١) أدب صدر الإسلام : محمد حضر من ١٨٨ بيروت طبعة خاصة .

الفصل الأول

شمراء الرسول

صلى الله عليه وسلم



كعب بن مالك

أبو عبد الله كعب بن مالك الأنصاري ، أبوه مالك بن كعب بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلامة (بكسر اللام) بن سعد بن على بن أسد بن ساردة السلمي ، وسارة هو ابن يزيد بن جشم بن الخزرج والخزرج من الأزد وهم من قحطان .

وكان كعب بن مالك يكتن في الجاهلية ، فكتاه النبي ﷺ أبا عبد الله ، وكان يقال له أيضاً أبو عبد الرحمن^(١) .

وبعد أبو عبد الرحمن من مشاهير الشعراء الشجعان — ولا غرو في ذلك ولا عجب فقد ورث تلك الصفات عن أبيه ، فأبيه مالك من مشاهير رجال يترقب ، قبل الاسلام وكان شاعراً شجاعاً ، وله في حروب الاوس والخزرج ذكر وأثار .

وقومه بنو سلامة مشهورون بتسابقهم إلى فعل المكرمات وكل ما فيه من بهبة وذكر للمرء من تقوى وسماعة وشجاعة وحب للخير — فلقد أراد بنو سلامة أن ينتقلوا قرب مسجد الرسول ﷺ حرصاً منهم على أداء فروعهم ، وليكونوا أقرب إلى مركز الهداية والتور المحمدي فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : « انه يلعنى انكم تريدون الانتقال قرب المسجد ؟ فقللوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال لهم ﷺ آمراً لهم بالالتزام بديارهم حتى يكتب آخر خطواتهم ويعيدهم إلى المسجد وذلك كما روى البخاري في صحيحه « بنى سلامة دياركم تكتب لكم آثاركم » ، وهذا يدلنا على أن مجتمع بنى سلامة مجتمع سباقي إلى الخيرات والمكرمات ، ويريد أن يكون أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ .

وقف موقعة أحد التي ظهر بها جانب عظيم من بطولة كعب بن مالك ، صاحب الترجمة وقف عبد الله عمرو بن حرام السلمي موقفاً بطولياً من أول المعركة حتى استشهد ، كان أول مواجهة حينما شهد عبد الله بن أبي بن سنول

(١) انظر الاشائري (ترجمة كعب مالك) .

يُخْذَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ ثَلَاثَ النَّاسِ قَبْلَ بَدَايَةِ الْمُرْكَةِ ، فَأَخْذَ يُنْصَحِّمُ قَائِلاً
« يَا قَوْمَ أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ أَلَا تُخْذِلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ قَالُوا : لَوْ نَعْلَمْ أَنَّكُمْ
تَقْاتَلُونَ لَا أَسْلَمْنَاكُمْ وَلَكُنْ نَرِيَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ قَاتِلًا »

وَأَخْذَ يُحَارِّهِمْ ، فَلَمَّا اسْتَمْسَوْ عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : أَبْدُكُمْ اللَّهُ أَعْدَاءَ
الَّهُ ، فَسَيَغْنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكُمْ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « مَا كَانَ
الَّهُ لِيَذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » وَقَوْلُهُ
تَعَالَى : (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَأْفَقُوا وَقَبْلَ أَنْ تَعْلَمُوا قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ أَدْفَعُوا قَاتَلُوا لَوْ نَعْلَمْ قَاتَلًا لَا تَبْعَدُكُمْ هُمْ لِكُفْرِ يَوْمَشَدُ أَقْرَبُهُمْ مِنْهُمْ
لِلَّاهِ يَعْلَمُ مَا يَقُولُونَ بِأَغْوِيَهِمْ مَا لَيْسَ فِي قَلْوَبِهِمْ وَالَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)

وَفِي مُرْكَةِ أَحَدِ نَفْسَهَا ظَهَرَ تَكْتُلُ كُلِّ سَلْمَةٍ وَحَسْنِ دَفَاعِهِمْ ، وَثَبَاتِهِمْ
فِي الْمُرْكَةِ وَالشَّئْءِ مِنْ مَعْدَنِهِ لَا يَسْتَغْرِبُ وَهَذَا الشَّبَلُ مِنْ شَلَكِ الْأَسْوَدِ
الضَّوَارِيِّ الَّذِينَ شَهَدُوا الشَّاهِدَ ، وَكَانَ لَهُمْ حِيثُ بَلَغَ مَدَاهُ الْخَافِقِينَ ،
وَتَنْقُنُ بِهِمُ التَّارِيخُ وَكَانَ كَعبٌ فِي مُقْدَمَةِ الشَّجَاعَانِ الْأَشَاؤُسِ الْمُتَحَمِّسِينِ
لِلْدُّعَوَةِ النَّبُوَّيَّةِ وَالَّذِينَ قَامُوا بِدُورِ رَائِدِ نَشْبِطِ الْبَيْعَةِ الثَّانِيَةِ (الْكَبْرَى وَقَدْ
كَانَ شَدِيدُ الْاعْتَازَ بِإِشْتِرَاكِهِ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَهِيَ عَنْدَهُ أَهْمَمُ مِنْ مَوْقِمَةِ
بَدْرٍ وَقَدْ عَبَرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ « وَلَقَدْ شَهَدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ لِيَلَةَ الْمَقْبَةِ
حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَا أَحَبَّ إِنْ لِي بِهَا مَشْهَدُ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ
أَذْكُرُ فِي النَّاسِ مَنْهَا) (١) وَكَانَ يَمْتَنَعُ بَعْدَ النَّظَرِ ، وَقَدْرَةُ عَلَى اسْتِهْنَافِ
الْأَحْدَادِ فَهَا هُوَ يَتَبَيَّنُ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ بِالْفَتْحِ ، وَيَتَوَقَّعُ أَنْ تَدْفَقَ خَيْلُ
الْمُسْلِمِينَ تَطْلُعَ مِنْ كَدَاءِ يَرْقِبُهَا أَبُو سَفَيَانَ يَقُولُ كَعبٌ : -

فَلَا تَمْجِلْ أَبَا سَفَيَانَ وَارْقَبْ جِيَادَ الْخَيْلِ تَطْلُعَ مِنْ قَبَاءِ
بِنْصُرِ اللَّهِ رُوحُ الْقَدْسِ فِيهِما وَمِيكَالُ فِي طَيْبِ - الْمَلَائِكَةِ
وَقَدْ شَهَدَ كَعبٌ الشَّاهِدُ كُلُّهَا عَدَا غَزْوَةَ بَدْرٍ وَتَبَوُّكٍ ، أَمَا بَدْرٌ فَقَدْ صَرَحَ
بِذَلِكَ فِي حَدِيثِ التَّوْبَةِ أَذْكَرَ : « لَمْ اتَّخِلَفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ فِي غَزْوَةِ
غَزَاها إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبَوُّكٍ ، غَيْرَ أَنِّي كَتَتْ تَخْلِفَتْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يَعْتَبِ
أَحَدًا تَخْلِفَ عَنْهَا ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ يَوْمَ عِيرَاقِيَشُ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيمَادٍ) (٢) .

(١) صحيح البخاري : باب غزوة تبوك .

(٢) البخاري : غزوة تبوك .

ولعله العذر المبر لتخلفه في هاتين الفروتين، أما عذره في تخلفه عن بدر فان الاشتراك في هذه الواقعة لم يكن ملزماً لجميع المسلمين كما حدث ذلك كعب عن هذا ، وأما عذره في تخلفه عن تبوك فقد كان كعب رضي الله عنه صاحب حس مرهف وزماج شاعري ولعل نفسه قد خامرها شيء من هذا السفر البعيد في حمارة القيظ ومالت الى الفضل والباء ، فتردد في الخروج ، وطال ترددته فلم يشعر الا وقد خرج الناس وجده بهم المسير واذا هو حيث هو من داره^(١) فاستولى عليه ندم شديد ، ولكن شجاع هفوة وكل جواد كبوة^(٢) .

ومن ذا الذي ترجى سحاياه كلها كفى الرء نبلأ أن تعد معايميه ولقد استغل ملك غسان هذه المفهوة من كعب فارسل اليه نبطيا من أنياب الشام وكانت بينه وبين كعب قرابة ونسب ، أرسل اليه كتابا يقول فيه أما بعد قد بلغنى ان صاحبك قد جفاك ! ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك !

ولكن كعبا كان عميق الایمان حاد الذكاء قادرك خطر هذه الدعوة الماكرة ، وأدرك أن وراءها ضياعا حقيقيا وخروجها عن المجتمع الاسلامي ، فما كان منه الا أن ذهب الى التحور فأؤخذ بما ناره ، وصرف الرسول للحسانى ، وقد أكرمه الله بقبول توبته مع التائبين حيث نزل قوله تعالى : «لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآيات»^(٣) وشاعرنا لم يكن جباناً رعبيداً حتى يختلف عن الحرب بل كان شجاعاً منديداً فهو رجل حرب كما هو رجل شعر ، ويكتفي أن النبي عليه السلام شهد له بالاقدام والجرأة والفروسية فقال : «أنت تحسن صناعة الحرب » .

ولقد كان الشعر والشجاعة في التاريخ العربي صنوين قلما يفترقان .

ويحدثنا التاريخ عن شجاعة كعب النادرة وجرأته الفائقة تقول حفيديثه «عميرة بنت عبد الله بن كعب عن أبيها الخ» أنه لما اكتشف الناس

(١) اسد الغابة .

(٢) انظر صحيح البخاري : باب غزوة تبوك .

(٣) الآيات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ سورة التوبة .

يُوْمَ أَحَدٍ كَانَ كَعْبُ أَوْلَى مِنْ عِرْفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَشَّرَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ حِيَا سُوِّيَا ، بَعْدَ أَنْ عَرَفَ عَيْنِيهِ تَحْتَ الْفَقْرِ فَأَخْذَ يَنْسَادِي « يَا مُعْشَرَ الْأَئْصَارِ » أَبْشِرُوا فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ فَأَشَارَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنْ أَصْمَتْ ثُمَّ دَعَاهُ غَلَبِسُ لَامِتَهُ ، وَالْبَسُ كَعْبًا لَامِتَهُ وَقَاتَلَ يَوْمَئِذٍ كَعْبَ قَتَالًا شَدِيدًا حَتَّى جَرَحَ أَحَدَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ جَرْحًا وَتَدَلَّ هَذِهِ الرَّوَايَةُ عَلَى شَجَاعَتِهِ وَبِسَالَتِهِ وَعَلَى أَنَّهُ كَانَ مُقْرَبًا مِنَ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ وَأَنَّ حَجْمَ لَامِتَهُ وَحَجْمَ لَامَةِ النَّبِيِّ كَانَا مُنْتَقَابِيْنَ أَنْ لَمْ يَكُونَا مُتَمَاثِلِيْنَ ، وَأَنْ هَذَا التَّصْرِيفُ مِنَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ يُعْتَبَرُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا لِكَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ »^(١) .

وَكَانَ كَعْبُ فِي غَيْرِ الْحَيَاةِ الْعَسْكَرِيَّةِ رَجُلًا مِمَّا أَيْضًا يَتَقَرَّبُ فِيهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَسِّدُ إِلَيْهِ بَعْضَ الْهَامِ فَقَدْ وَلَاهُ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْمُهْجَرَةِ صَدَاقَاتٍ أَسْلَمَ وَغَافَرَ ، كَمَا يَعْثَى يَنْسَادِي فِي النَّاسِ بِمَنْفِي فِي حَجَةِ الْوَدَاعِ أَنْ أَيَّامَ مِنْ أَيَّامِ أَكْلٍ وَشَرْبٍ وَذَكْرِ اللَّهِ لِيَنْتَهِي النَّاسُ مِنْ صَيَامِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْهَامِ الْقِيَادِيَّةِ الَّتِي أَهْلَتَهُ لَهَا خَبِيرَتِهِ وَتَجَارِيَهِ الْمُعْدِيَّةِ .

شِعْرٌ :

يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ شَاعِرَ الْإِسْلَامِ^(٢) وَقَالَ عَنْهُ الْجَمْهُورُ فِي طَبِيعَاتِ فَحْولِ الشِّعْرِ أَنَّهُ شَاعِرٌ مُجِيدٌ ، وَمَا يَدْلِيلُ عَلَى عَلَوْ مَنْزِلَتِهِ الشِّعْرِيَّةِ أَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَحْفَظُ شِعْرَهُ وَتَرْوِيَهُ « الشِّعْرُ مِنْهُ حَسْنٌ وَمِنْهُ قَبِيبٌ ، خَذِ الْحَسْنَ وَدُعِ القَبِيبَ » وَلَقَدْ رَوِيَتْ مِنْ شِعْرِ كَعْبٍ بَنْ مَالِكِ أَنْسَارًا مِنْهَا الْقَصِيْدَةُ فِيهَا أَرْبَعُونَ بِيَتًا وَدُونَ ذَلِكَ^(٣) .

وَمِنْ مَيْزَانِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ حَاضِرَ الْبَدِيْمَةِ الشِّعْرِيَّةِ ، وَكَانَ قَوْمَهُ مِنَ الْأَئْصَارِ يَمْتَزُونَ بِبَدِيْمَهُ وَيَلْجَاؤُنَّ إِلَيْهَا فِي مَوْقِفِ الْفَخْرِ وَالْعَتْرَازِ ، وَمِنَ الْمَوْاقِفِ الَّتِي تَدْلِي عَلَى حُضُورِ بَدِيْمِهِ ، مَوْقِفُهُ يَوْمَ خَيْرِ الْيَهُودِ الْيَهُودِيِّ ، فَقَدْ خَرَجَ مُرْحَبٌ مِنْ حَصْنِ الْيَهُودِ مُرْتَجِزاً^(٤) .

(١) الْدِيْوَانُ : وَانتَظِرْ زَهْرَ الْأَدَابِ .

(٢) شَرْحُ الْبَلَاغَةِ الْجَلْدُ (٤) ٤٤٨ .

(٣) اَنْظُرْ الدِيْوَانَ وَفِي مَقْدِيْمَةِ الْدِيْوَانِ : مِنْهَا كَانَا مُنْتَقَدِيْنَ فِي الصُّورَةِ وَالْخَلْقَةِ فَلَمْ يَفْلِحْ أَنْ يَكُونَ حَدِيْدًا لِلْمُشَرِّكِيْنَ بِدَلَالِ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) الْبَدِيْمَةُ وَالنَّهَايَةُ ج ٨ تَرْجِيْمَ كَعْبٍ .

شاكى السلاح بطل ٠ مجرب
اذا الليوطيون أقبلت ٠ متحرب
وانفى متى تشبب ٠ العرب
ماضى على المول ، جرى ٠ صلب
مع حسام كالعقيق ٠ عصب
بكف ماض ليس فيه عتب
تلدكم ٠ حتى يذل الصعب

وقد قال كعب الشاعر في أغراض عدة وأعظم الأغراض التي قال فيها
الشعر هي : في الدفاع عن الإسلام والرد على أهالي شعراء الكفر ودحض
مفترياتهم كما امتاز بشعر النثائض وهو شعر يقوم على الفاخرة وقوية
الحجوة وحضور الدبيبة والارتجال على أن أكثر شعره كان في الدعوة
الإسلامية ومجالدة الأعداء ٠

يقول كعب في إجلاء بنى النضير :

لقد خزيت بعذرتها الخبورة كذلك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهنّم كفروا برب عزيز أمره أمر كبير
فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأيات مبينة - تثير
يصدقني به الفهم - الخير
فمن يتبعه يهدى لكل رشد ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشردوا غدرا وكفرا وجاد بهم عن الحق التضور
أرى الله النبي برأى صدق وكان الله يحكم لا يجوز
ولم يكن العرب فجاهيلتهم بطبيعة الحال يستخدمون لفظ الإسلام ،
لأنه مصطلح للدين الجديد الذي بشر به محمد عليه السلام ، وقد ورد في قوله
تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » فاستعمل الشعراء المسلمين هذا
اللفظ في شعرهم ومنهم شاعرنا كعب ٠

بخالد ما بقينَا أو تبيينا إلى الإسلام اذعننا مضيفا
وكم من عشر الباوا علينا صميم الجزم منهم - والحلينا
أتونا لا يرون لهم كفاء فجدعنا المسامع والأتوافا
لأمر الله والإسلام حتى يقوم الدين متعدلا حنيفا
وبيروى الأغاني قال كان يهجو قريشا ثلاثة نفر من الأنصار يجربونهم

ويردون عليهم أهلاجهم حسان بن ثابت ، وكمب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وكان حسان وكعب يمارضانهم بمثل قولهم بالواقع والأيام والماIOR
ويغيرا لهم بالثالب وكان عبد الله بن رواحة يغيرهم بالكفر وينسبهم إلى الكفر ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ، ولما تعرض بعض المشركين لهجاء الرسول ﷺ قام ابن رواحة فقال يا رسول الله أئذن لي في الرد فقال أنت الذي تتقول « فثبت الله » قال نعم يا رسول الله أنا الذي أقول .

فثبت الله ما أطعك من حسن

تثبتت موسى ونصرًا كالذى نصروا
فقال وأنت فعل الله بك مثل ذلك فوثب كعب بن مالك فقال يا رسول الله
أئذن لي فقال أنت الذي تتقول « همت » قال نعم يا رسول الله أنا الذي
أقول همت سخينة ان تغلب ربها

وليغلب مغالب الغلاب
فقال أما إن الله لم ينس لك ذلك ولا انزع المشركون يوم الأحزاب
قال رسول الله ﷺ إن المشركين لن يمزوكم بعد اليوم ولكنكم تزورونهم
وتسمعون منهم أذى ويعجونكم ، فمن يحمي أعراض المسلمين فقام
عبد الله بن رواحة فقال أنا لحسن الشعر ثم قال كعب فقال
أنا فقال وانك لحسن الشعر ، وكثيرا ما كان الرسول ﷺ يستشهد
كينا الشعر ويستعيده ويستزيده يروى ابن سيرين قال وقف رسول الله
ﷺ بباب كعب بن مالك فخرج فأشده ثم قال ايه فأشد ثم قال ايه فأشد
فأشد ثلاثة مرات فقال رسول الله ﷺ لهذا أشد عليهم من وقع
التبلي .

ويكتفى هذا التقدير لشعر كعب من أمم البلاء وسيد الفصحاء
وقد قال معاوية يوما لجلسائه أخبروني باشجع بيت قاته العرب
أو وصف به رجل قوله فقال روح بن زباد قول كعب بن مالك :
نصر السيف اذا قمن بخطونا يوما ونلهم اذا لم نتحقق

فقال له معاوية صدقت ، وكعب أحد من عاون عثمان رضي الله عنه على من قاموا خده وشهر سلاحه لناصرته ، فلما نادى سيدنا عثمان الناس أن يخمدوا سيوفهم انتصر ، ولم ير أن الأمر يتضمن إليه ولا يجترئه القوم إلى قتله فلما قتل وقف كعب على مجلس الأنصار في مسجد رسول الله فأشد لهم :

من مبلغ الأنصار على آية رسلا تقص عليهم - التبيانا
ان قد فعلمتم فعلة مذكورة
كنت الفضوح وأبتد الشنانا
بتقعدكم في داركم وأميمكم
يفشن ضواحي داره النيرانا
بيتنا يرجى دفعكم عن داره
حتى اذا خلصوا الى أبوابه
دخلوا عليه صائمها عطشانا
متلبثون مكانكم رضوانا
يعلون قلته السيف وأنتم
لهم صنينا يوم ذاك وشنانا
اهه يعلم أنت لم أرضه
يا لهن نفسى اذ يقول الا ارى
والله لو شهد ابن قيس ثابت
وأبو دجانة وابن أقرم ثابت
ورفاعة المعرى وابن معاذ هم
قوم يرون الحق نصر أميرهم
ويبرون طباعة أمره ايمانا
وأبو دجانه سماك بن خرشة وابن أقرم ثابت البلوي وأخوه
المشاهد من بني عجلان معن بن عدى عقبي ورفاعة بن عبد المنذر المعرى
وابن معاذ سعد بن معاذ وأخوه معاوية المنذر بن عمرو الساعدي^(١) عقبي
بدرى - فجعل القوم بعد سماعهم شعر كعب ي يكون ويستغفرون
الله ، وما دفعه إلى هذا الأحبه وتشيعه لسيدنا عثمان رضي الله عنه ولعل
هذا هو ما دفع بعض من يقول عنه انه كان عثمانيا وهو أحد من قعد عن
نصرة سيدنا علي كرم الله وجهه فلم يشهد حربه وخطبه في أمر عثمان
رضي الله عنه وقتله خطأ ثم اعتزاله .
وله شعر كثير في تحريض الأنصار على نصرته قبل قتله وتائب لهم
على خذلانه - كما تقدم - ومنها :

(١) انظر الأغاثى ج ١٥ ص ٢٦ - ٢٨ طبعة ساسى .

فُلُوْ حَلَّتُمُوا مِنْ دُونِهِ لَمْ يَرُلْ لَكُمْ مَدِيْ الدُّهُورِ طَرَا لِإِبْرُوحْ وَلَا يُسْرِى
وَلَمْ تَقْعُدُوا وَالْدَارِ كَابْ دَخَانِهَا يَحْرُقْ فِيهَا بِالسَّعِيرِ وَبِالجَمْرِ
فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ ضَيْقَةٍ وَأَقْرَبُ مِنْهُ لِلنَّوَايَةِ وَالنَّكَرِ^(١)
وَيَرِدُ عَلَى شِعَاءَ مَكَةَ بِقُولِهِ :
وَأَنْ تَرُوا أَمْرَنَا فِي رَأِيكُمْ سَفَهَا فَرَأَى مِنْ خَالِفِ الْاسْلَامِ تَضَليلَ
وَلَا شَكَ أَنَّ الْمُسْلِمَ حَرِيصَ عَلَى أَنْ يَتَسَلَّحَ فِي جَهَادِهِ خَدَ الْأَعْدَاءِ
بِسَلاَحِ التَّقْوَى بِالْإِضَافَةِ إِلَى السَّلاَحِ الْمَادِيِّ ، وَشَاعِرُنَا كَعبَ يَفْخَرُ بِأَنَّ
الْتَّقْوَى يَعْصُمُ مَا يَلْبِسُ الْمُؤْمِنُونَ فِي لِقَائِهِمْ مَعَ الْأَعْدَاءِ هَذِهِ يَقُولُ :
تَكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسُنَا يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكُلُّ سَاعَةٍ مَصْحَقَ
وَصَفَةُ الْمُبُودِيَّةِ لَهُ هِيَ مَا يَعْتَزِزُ بِهِ الْمُؤْمِنُ لَأَنَّ فِي ذَلِكَ غَنِيَّةٌ عَنِ
الْخَلْقِ ، وَابْتِنَاءُ لِرَضَا الْخَالِقِ جَلْ جَلَالُهُ يَقُولُ كَعبٌ :
فِي عَصَبَةِ نَصْرِ الْاَللَّهِ نَبِيِّمْ بِهِمْ وَكَانَ يَعْبُدُهُ ذَا مَرْفَقِ
وَيَقُولُ رَدًا عَلَى خَرَارِ بْنِ الْخَطَابِ :
مَسِيرُنَا لَا نَرِيَ شَهَادَةً عَدْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مَتَوكِلِينَ
لِلنَّصْرِ أَحْمَدًا وَاللهُ حَتَّى نَكُونُ عِبَادَ صَدِيقِ مَخَاصِنِنَا
وَلَمْ يَكُنْ الْجَاهِلِيَّ يَعْلَمُ أَنَّ هَنَاكَ حَسَابًا يَنْتَظِرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَجَاءَ
الْاسْلَامُ بَيْنَا مَا يَجْزِي بِهِ اللَّهُ سِيَّحَانَهُ الْخَلْقُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ . أَنْ خَرَا
فَخَيْرٌ وَأَنْ شَرَا فَشَرٌّ ، وَشَتَانٌ بَيْنَ الْعَمَلَيْنِ كَمَا قَالَ كَعبٌ :
شَتَانٌ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمِ ثَاوِيَا أَبْدَا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ مَخْلُدٌ
وَيَخَاطِبُ حُمَزةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَعْدَ اسْتِشَاهَدَهُ :
عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ مَخَالِطُهَا نَعِيمٌ – لَا يَرُوْكَ
وَيَقَارِنُ بَيْنَ قُتْلَاهُمْ وَشَهَادَهُ الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّ الشَّهَادَهُ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ
أَمَا قُتْلَاهُمْ فَهُمْ فِي النَّارِ .

وَقُتْلَاهُمْ فِي جَنَانِ النَّعِيمِ كَرَامُ الدَّاخِلِ وَالْمَخْرُجِ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكُ الْجَنَّةِ دُوْحَةُ الْمَوْلَجِ
وَيَرِدُ عَلَى الشَّرِكِينَ بَعْدَ اسْتِشَاهَدَ سَعْدَ بْنَ مَعَاذَ :

(١) نفس المصدر، السابق من ٢٦ .

فاما نقتلوا سعدا مسفاها
فإن الله خير القتادينا
سيدخله جنانا طيبات
 تكون مقامة للصالحين

وكعب يهدى أبا سفيان بفتح مكة على ايدي المسلمين :
 فلا تعجل أبا سفيان وارقب
 جياد الخيل تطلع من كداء
 بنصر الله روح القدس فيما
 وميكال فيما طيب الملاع
 ويغير الكفار بيوم بدر الذي حق الله فيه النصر للمؤمنين :
 ويوم بدر لقيساكم لنا مدد
 فيه مع النصر ميكال وجبريل
 ويقول فيها أيضا :

الأهل أتي غسان في نأى دارها
 بأن قد رمتنا عن قسى عداوة
 لأنما عبدنا الله ، لم نرج غريبه
 نبى له في قسموه ارث عزة
 فساروا وسرنا فاللتقينا كاننا
 ضربناهم حتى هوى في مكرنا
 فولوا ودستاهم بيض صارم
 وأخبر شىء بالأمسور عليهمها
 معد ، مما جهالها وحليمهها
 رجاء الحنان اذ أثنا زعيمها
 واعراق صدق هذبتها أرويما^(١)
 أسود لقاء لا يرجى كلبيما^(٢)
 لنخر سوء من لوى عظيمها^(٣)
 سواء علينا حلقها وصميمها^(٤)

(١) الاروية : الامل .

(٢) الكلم : الجريح .

(٣) المكر : موقع الكر : الحرب .

(٤) الصميم : الفالص ، والطيف : من ليس من القوم .

عبد الله بن رواحة

هو عبد الله بن رواحة بن شعبة بن امرى القيس بن عمرو بن امرى، القيس الأغر بن شعبة بن كعب بن الخزرج بن الصارت بن الخرج ابن الأنصاري الفخرجي الشاعر المشهور يكى أبي محمد ويقال كنيته أبو رواحة وأمه كتبه بنت واتد بن عمرو ابن الاطابة الخزرجية.

وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤته روى عنه ابن عباس وأسامة بن زيد وأئش بن مالك وكان صادق الإيمان إذا لقى الرجل من أصحابه يقول له تعال بنا نؤمن ساعة وفيه قال النبي ﷺ رحم الله ابن أبي رواحة انه يحب المجالس التي تتبااهي بها الملائكة ، وكان عبد الله كبير القدر في الجاهلية وكان كتاباً والكتابة في العرب طلبة ، شاعراً اشتهر بالمناقص ، وكثيراً ما كان ينافق قيس بن الخطيم ، جند شعره في خدمة رسول الله والدعوة الإسلامية ، متقانياً في طاعة الله ورسوله ، أتى النبي الكريم وهو يخطب فسمعه يقول : اجلسوا ، فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال له : زادك الله حرصاً على طواعيه الله وطواعية رسوله ، ولما آذن المقاتل كان ابن رواحة أول خارج إلى الغزو وأخر قائل^(١) وقال ابن اسحق كان زيد بن أرقم يتيمًا في حجر عبد الله ابن رواحة ، فخرج معه إلى سرية مؤتة فسمعه في الليل يقول :

إذا أدنيتني وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحسان
فتشأك فانعمي وخلاك ذم ولا أرجح إلى أهلى ورائي
وجلاء المؤمنون وخلفوني يارض الشام مشيمور — الشاء

فبكى زيد فخففه بالدرة فقال ما عليك يالكم أن يرزقنى الله الشهادة
وترجع بين شعبي الرحل^(٢) وقد حضر الشاهد كلها — كما تقدم —
وأرسله رسول الله ﷺ إلى العالية ليبشر أهله بوفعه بدر ودخل النبي

(١) الأصلية من ٦٦ حرف العين .

٢)

نفس المصادر السابقة .

بعد سنوات الجهاد مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة آخذ بزمامه
فأقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب انى مؤمن بقيمه أعرف حق الله في قبضوله
فقال عمر بن الخطاب : يابن رواحة في حرم الله ، وبين يدي رسول
الله ^{عليه السلام} هذا الشمر ؟ ! فقال الرسول ^{عليه السلام} خل عنه يا عمر ، فوالذي
نفسى بيده لکلامه أشد عليهم من وقع النبل ثم قال :
يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا .. ولا صلتنا
فائزنا سكينة علينا وثبت الأقدام اذ لاقيتنا
ان الكفار قد بعدوا علينا

فقال النبي ^{عليه السلام} ، اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت ، ولا نزل قوله تعالى : « والشمراء يتبعهم الغاون » قال ابن رواحة انى منهم
فائز الله : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً
وانتصروا من بعد ما ظلموا » الآية .

وقال عبد الله بن رواحة مررت في مسجد الرسول ورسول الله ^{عليه السلام}
وآله جالس وعنه اناس من الصحابة في ناحية منه فلما رأوني قالوا
يا عبد الله بن رواحة فجئت فقال اجلس هنا فجلست بين يديه فقال
كيف تتقول الشمراء قلت انتظر في ذلك ثم آقول قال فعليك بالشردين ولمن
اکن هیات شیئا فنظرت ثم انشدته ذكر الابيات ففيها :

فتیت الله ما آتاك من حسن تثبیت موسی ونصرًا كالذی نصروا
قال ها قليل يوجهه متیسما وقال واياك فشتت الله ومن احسن ما مدح
به النبي ^{عليه السلام} :

لهم نحن نییه آیات میینة كانت دیدیتکه تثبیتك بالخير
وتغرا شعر این رواحة فیتمثل لک فارسا تیجاوا پسترهی الموت
ف سبیل الله ، ویستهین بالمخاطر ف سبیل ، فھینما تھیا المسلمون لنزوة
مؤته ، پلغ الناس آن هرقل قد نزل ماتیں من آرضي الیقاء فی مائة الف من

الروم ومثلهم من المستعربين فلما علم ذلك المسلمين أقاموا على معان
ليلتين يفكرون في أمرهم ، و قالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فاما أن
يعدنا بالرجال ، وأما أن يأمرنا بأمره فنعني له ، فما كان من عبد الله بن
رواحه الشاعر الفارسي إلا أن تقدم المقاتلين وحرضهم على خوض
المعركة وقال قوله المشهورة : « يا قوم وألم أن التي تكرهون للتي
خرجتم تطلبون : الشهادة ، ونحن لا نقاتل الناس بعدد ولا قوة
ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلا بهذه الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا
فاما هي أحدي الحسينين : أما ظهور ، وأما شهادة ، فقال الناس ، قد
وأله صدق ابن رواحة ممضى الناس حتى إذا كانوا بقرية مشارف دنا
ال العدو منهم وأنجذب المسلمين إلى مؤته ثم بدأ القتال فهم زيد بن حارثة
قتل ، ثم اقتصر جعفر الروم قاتل ، فلما قتل جعفر دعا الناس عبد الله
ابن رواحة وهو في جانب العسكر فتقدمن ف قال وهو يخاطب نفسه :
يا نفس الا تقتلى تمسوتي هذا حياض الموت قد ملئت
واما تعنتي فقد لقيت ان تعملى فعلمتك هديت
وان تأخرت فقد شقيت

ويعني بقوله : « فعلمها » زيدا وجعفر ثم قال يا نفس الى أى
شيء تتوقين ؟ الى امرائي فهى طلاق ، الى غلامى فهم آخرار ، الى
محن حائط فهو الله ورسوله ثم أخذ اللواء واستقبل مقاتل برهة ثم
عاد - وأخذ يؤدب نفسه على ترددك كل التأييب - يلوم نفسه على
لحظة ضئيلة تردد فيها فعاد يقول مخاطبا نفسه :
ما لي أراك تكرهين الجنة أقسم بالله تترسل
طالمسة أولا : لنكرهني نطلبنا قد كثت ملائمة
هل أنت إلا نعلمه في شئنا قد أجلب الناس وشدو الرنة
فلا نزول للقتل طعن ، هاستقبل الدم بيده ، فذلك به وجهه ثم
ناس بين الصفين حتى قتل .
واجتمع الماجرون والأخصار ف قال رسول الله ﷺ : « أخذ زيد
ابن حارثة الراية فقاتل حتى قتل شهيدا ثم أخذها جعفر بن أبي طالب

مقاتل حتى قتل شهيدا » ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا ان كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون فقال ﷺ : « ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا ثم لقد رفعوا الى الجنة على أسرة من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا أفقيل لي مضياء وتردد عبد الله بعض التردد !

وأيا ما كان الأمر فلن يضير عبد الله بن رواحة لحظة تردد اذا ما نظرنا الى جهاده العظيم وتفانيه في سبيل رفعة الدين وغرسه في الشهادة في الحروب وأن رسول الله ﷺ كان اذا أراد أن يختار بعض القادة والفرسان لهمة اختار عبد الله بن رواحة فلقد بعثه ﷺ في ثالثين راكبا الى أسيير بن قرام اليهودي بخبير فقتله وبعثه بعد فتح خبير فخرص عليهم يقول أبو الدرداء شاهدا على جرائه وشجاعته « أعود باشاً أن يأتي على يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان اذا لقيني مقبلاً خربني بين ثديي وإذا لقيتني مدبراً خرب بين كتفي !!!

ثم يقول يا عويمر هذه مجالس اليمان فلقد كان ابن رواحة صادق اليمان قوى اليقين يذكر الله في كل لحظة ووقد سالوا الصحابة زوجه عن حاله فقالت : كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، واذا دخل صلى ركعتين لا يترك ذلك أبدا — ولعل ابن رواحة شعر يوما بالتقدير في جانب الله ، او لعله ذكر هذه اللحظات التي تردد فيها

فاستدرك على ذلك قائلا :

لكتنى اسأل الرحمن مغفرة وضربي ذات فسرع تقدف الزبادا
أو طحنة بيسدى حران مجذدة بحربيه تتقد الأحتباء والكبادا
حتى يقولوا اذا هروا على جدئى أرشده الله من غار وقد رشدا

ثم أتى الرسول ﷺ فودعه قائلا :
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به العدو
فثبت الله ما أثناك من حسن في المسلمين ونصرنا كالذى نصروا
أنى تقرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذى نظروا
يرحم الله ابن رواحة » لما قال الرسول الكريم فيه « يرحم الله
ابن رواحة انه كان يحب مجالس الذكر .

القعناع بن هعرو ٤٠٥ م

قيل ان ابا بكر الصديق كان يقول لصوت القعناع في الجيش خير من ألف رجل وله في قتال الفرس بالفارسية وغيرها بلاء عظيم وقال القعناع قال لى رسول الله ﷺ ما أعددت لجهاد قلت طاعة الله ورسوله والخيل قال : « تلك الغاية » وأشند سيف القعناع : ولقد شهدت البرق يرق تهامة يهدى الأئم لسنة المختار في جند سيف الله سيف محمد والسابقين لسنة الأحرار قالوا كتب عمر الى سعد اى فارس كان أفسر في القادسية قال فكتب اليه انى لم ار مثل القعناع بن عمرو حمل في يوم ثلاثة حملة يقتل في كل حملة بطل وكان له محبة بالرسول ﷺ وهو يدع أحد فرسان العرب وشراطهم وشهد فتح العراق ودمشق وله في ذلك أشعار مشهورة موفقة يقول :

يدعون قعناعا لكل كريمة فيجيب قعناع دعاء الهاتف^(١)

كما شهد اليموك ، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع على وكان يقتتل في أوقات الزينة سيف هرقل ملك الروم ويلبس درع بهرام ملك الفرس وما مما أصابه من الغنائم في حروب فارس ، ولقد كان القعناع جديا من أخصص قدمه إلى قمة رأسه كرس حياته للجندية والدفاع عن الإسلام وشعره الذي بين أيدينا يرسم بالروح الحربية شعر حربي يبتول في يوم أغوات من أيام القادسية :

ولم تعرف الخيل العرب سوانا عشيّة أغوات بجنب القوادس^(٢)
مشيّة رهنا بالولماح كانواسا على القوم لوان الطيور الرسادس
وكان يرتجز في القادسية :

أزمعبم عمسا بهما أزعاجا أطمئن طمنا مسائنا نهجا^(٣)
أرجو به من جهة أزواجا

(١) الاصناف في اخبار الصحابة ج ٤ ص ٤٣ دار الكتب

العرب بيروت .

(٢) الخيل العرب ، الخيل الاصيلة لا شالية يتصف بها :

(٣) نهجا : يدققا ،

وقد حمل في يوم أغوات ثلاثة حملة كلما حمل قتلت فيها رجلا من الفرس ، وكان آخر من قتل (بزر جمهر المهزاني) وفي ذلك يقول :
حيـوـتهـ جـيـاشـةـ بـالـنـفـسـ هـدـارـةـ مـثـلـ شـعـاعـ الشـمـسـ
فـيـوـمـ أـغـوـاتـ ،ـ قـلـيلـ الـفـرـسـ أـجـسـ بالـقـومـ أـشـدـ النـفـسـ
حتـىـ تـفـيـضـ مـعـشـرـيـ وـنـفـسـيـ^(١)

وقال في يوم دمشق :

نجـالـدـ قـوـماـ قدـ حـمـلـناـ بـصـارـمـ
فـدـانـ لـنـاـ مـسـتـلـمـاـ كـلـ قـائـمـ
أـقـيمـواـ لـهـمـ حـرـ الدـوىـ بـالـغـلـاصـ
وـنـدـمـرـ عـضـواـ مـنـهـمـ بـالـبـاهـمـ^(٢)

كـمـ فـرـزـنـاـ بـأـيـامـ الـعـرـاقـ
مـحـرـمـةـ الـجـنـابـ لـدـىـ التـلـاقـ
وـمـرـجـ الصـفـرـيـنـ عـلـىـ الـعـتـاقـ

جمـ الـكـارـمـ يـحـرـرـ نـيـارـ^(٣)
فـبـنـيـ بـنـاهـمـ لـهـ اـسـتـتـصـارـ
وـبـنـيـ بـعـدـيـ أـنـ بـقـواـ عـمـارـ
مـلـكـ يـفـيـرـ وـخـلـفـهـ جـرـارـ^(٤)
هـنـ الشـفـورـ مـجـرـدـ مـظـفـارـ
وـالـخـيلـ تـصـمـلـ وـالـبـلـاـ أـطـوارـ^(٥)

أـقـمـناـ عـلـىـ دـارـ هـنـالـكـ أـشـهـراـ
قـصـصـنـاـ إـلـىـ الـبـابـ الـعـرـاقـيـ أـشـهـراـ
أـقـولـ وـقـدـ دـارـتـ رـحـانـاـ بـدـارـهـمـ
فـلـمـ زـادـنـاـ فـيـ دـمـشـقـ نـحـورـهـمـ

وـقـالـ فـيـ يـوـمـ الـيـمـوـكـ :
أـلـمـ تـرـنـاـ عـلـىـ الـيـمـوـكـ فـرـنـاـ
فـتـحـنـاـ قـبـلـهـاـ بـصـرـيـ وـكـانـتـ
وـعـذـرـاءـ الـمـائـنـ قـدـ فـتـحـنـاـ

وـقـالـ فـيـ يـوـمـ فـحلـ^(٦) :
كـمـ مـنـ أـبـ لـىـ قـدـ وـرـثـ فـحـالـهـ
وـرـثـ الـكـارـمـ عنـ أـبـيهـ وـجـدهـ
فـبـيـتـ مـجـدـهـمـ وـمـاـ هـدـمـهـ
مـازـالـ هـنـافـ الـحـرـوبـ مـرـوـسـ
بـطـلـ الـلـقـاءـ اـذـ الشـفـورـ تـوـكـلـتـ
وـغـدـةـ فـحـلـ قـدـ رـأـوـنـيـ مـلـمـاـ

(١) الطبرى ٢ - ٥٥

(٢) أى يضمون إيمانهم من الندم

(٣) انظر تهذيب ابن سينا ١٤٤/١٤٥

(٤) جم كثير : نيار : متوفى

(٥) مروس أى رئيس وجار أى جيش جرار

(٦) بعلبا : شجاعا ، اطوار : بتابعة انظر مادة نفع العراق والجزيرة ، محمود شيت خطاب دار الفكر بيروت

أعرب ماجنست هبط مهاباً في
٤٩-
دعا نادى حكم لاه ما هوا رها دشرو طلا من العنكبوت
ما شدكر إلى أن يقول :

ما زالت الخيل العراب تدوسم
حتى رميت سراتهم عن أسرهم
في ردة ما بعدها استمرار^(١)
ولقد أبrena في الرداع جموعهم
طرا ونحوه تبسم الأ بصار
وكان أول صوت سمعه سعد بن أبي وقاص ليلة العبرير في النصف
الأخير من الليل مما يستدل به على الفتح صوت القمعان يهدى :
نلن قطننا معثرا وزائداً أربعين وخمسة وواحداً
لحسب فوق اللبد الأسوداً حتى اذا ماتوا دعوت جاهداً
الله ربى وأحرزت عاماً

هذا بعض شعره الذي قاله في القدسية ، ولا بد أن يكون له شعر
في معاركه الأخرى ، وعلى كل هذه التمادج تدل دلالة واضحة على
انتفاع القمعان بسلية شعرية أصيلة . رحمة الله وأجل لـ العطاء .

(١) ردة : الماء والطين والوحل الضيئل وبما بعدها استمرار :

سراقة ذو النور بن عمرو فاتح الأبواب^(١)
توفي ٦٤٢ م
كان سراقة بن عمرو بن لبنة صاحبها جليس ، ذكره في الصحابة
ولم ينسبوه وكان يدعى ذا النور^(٢) ولكن لا نعر فبالضبط متى أسلم
ولا الغزوات التي شهدتها مع رسول الله ﷺ ، والظاهر أنه أسلم
متاخرًا أو كان صغيراً في عهد النبي ﷺ ، فنان شرف الصحابة ، ولم يدل
شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد .

جهاده :
عرف عمر بن الخطاب لسراقة فضل المظيم في الجماد خواص
البصرة ، ولكنه رد آبا موسى الأشعري إلى البصرة ، ورد سراقة إلى
الباب ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكان يدعى
ذا النور أيضًا ، ولما تقلعت طائرة المسلمين كاتبه ملكها واستأنه على
أن يأتيه ، فآمنه عبد الرحمن فلما لقيه قال له : « اني بازاء عدو وأم
 مختلفة ليست لهم أحساب وليس لدى الحسب والمقدل أن يعين أمثال
هؤلاء ولا يستعن بهم على ذوى الأحساب والأصول ، وذو الحسب
قريب ذى الحسب حيث كان ولست أنا من (القبج) ولا من الأرض
في شيء وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتنى فاتنا منكم ، ويدى مع
أيديكم ، وجزيتي اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون ، فلا تذللونا
بالجزية فتوهونا لعدوكم » فأجابه عبد الرحمن « فوقنى رجل قد أظلك
فسم إليه » ثم سره إلى سراقة فلقيه بعقل هذا الكلام ، فقبل منه
سراقة وقال له : « لابد من الجزية من يقيم ويحارب العدو » أي أنه
وافق على وضع الجزية عن الذين يقاتلون العدو وجنبًا لجنب مع
المسلمين وأصر علىأخذها من القاعددين من أهل البلاد . وكتب سراقة
إلى عمر بذلك ، فأجازه وحسناته وهكذا صالح أهل أرميتبة والأؤمن ،

(١) باب الأبواب : ويقال لها البساط أيضًا : ميسانه كبير على بحر
الخزر جنوب) روسيا انظر معلم البلدان ٩/٢ وآثار السلاط وأخبار
البلاد من ٥٦ () والمسالك والمالك (١٠٩ - ١١٠) .
(٢) ابن الأثير ٢/٧ .

ومات سراقة في (باب الأبواب) قبل أن يرى ثمرة جهاده كاملة
فاستخلف قبل موته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي.

قال سراقة بن عمرو يصف فتح (باب الأبواب)^(١) :

ومن يك سائلا عنى غانى بارض لا يؤتيمها .. الفرار
بباب الترك ذى الأبواب دار لها في كل ناحية .. منمار
ندود جموعهم عما حويتها ونقسلم اذا باح السرار^(٢)
سدتنا كل فرج كان فيها مكابرة اذا سطع الغبار
والحمدنا الجبال جبال قبج نناهيم .. وقد طار الشرار
على خيل تمادي كل يوم عتسادا ليس يتبعها المصار
وهو شعر سلس يصور المعركة تصويرا رائعا حتى تكاد تلمس فيه
جو المعركة الصاخب ، غبارا شائرا ، خيليا تذكر وتقدى تنهوى ،
ولم ينسه تدابير المسلمين الدفاعية عن منطقة (باب الأبواب) مراقبة
الطرق التقريبية إليها ليلا ونهارا وسد مناخذ الجبال لقد كان سراقة
من الشرفاء الفرسان المجيدين الذين شرفوا بصحبة النبي ﷺ ونالوا
شرف الدفاع عنه ورحمه الله .

(١) انظر معلم البلدان (٤٢/٤).

(٢) السرار : سرر الشهور يفتحون آخر ليلة منه وكذا
(سراوه) يفتح السنين وكسرها وهو مشتق من قولهم : استمر القراء
على ليلة وربما كان ليلتين ، اذا باح السرار : اذا برغ العذر وانكشف

الفصل الثاني

شمراء الفتوح الاسلامية

المثنى بن حارثة الشيباني

المثنى من أصل شيباني ، وبنو شيبان هم من الشجرة العدنانية وفرع من قبيلة (بكر بن وائل) وقد كان بنو شيبان من هامات ربيعة في الجاهلية وهم أبطال معركة (ذي قار) وقد امتد بهم المجد في الاسلام فكان منهم بيوتات سجل لها التاريخ صفحات خالدة .

ونذكر أمثال يوم (ذي قار) بعد الاسلام بين الفرس وبين شيبان خاصة ، وبين الفرس وقبائل بني بكر عامة ، فكان بنو شيبان طلائع الفتح الاسلامي في العراق — وكان المثنى بن حارثة الشيباني الذي كان من أشراف شيبان أول قائد عربي تجرأ على مهاجمة الامبراطورية الساسانية في عقر دارها ، وقد قيل ليس في العرب أعز من شيبان دارا ، ولا أكثر حلينا .

اسلامه :

وقد وفدي المثنى بن حارثة على النبي ﷺ سنة تسع وقد مع قومه فاسلم^(١) ولقد نال المثنى شرف الصحابة ولكنه لم يذل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإن كان لا ينكر جهاده في مواطن شتى شهدت له بالفروسية والشجاعة النادرة ، ففي حروب الردة كان المثنى على رأس الذين أعنوا العلاء ابن الحضرمي في مهمته الشاقة أذ ضيق الخناق على المرتدين في منطقة (البحرين) وأخذ الطريق عليهم ولم يكتف بذلك ، بل تابع السين شمالاً على نساطي ، الخليج العربي ليقاوم دسائس الفرس الذين شجعوا المسلمين في منطقة الخليج العربي على الردة ، ويقضي على

(١) من ٢٩ قادة العراق والجزرية . محمود كيت .
وانظر أسد الغابة ٦٩/٤ والاصابة ٤١/٦ .

أنصارهم من القبائل ومن الأبناء (والأبناء قوم من المجم اختلطوا بالعرب بالصاهرة وسكنوا البلاد العربية) .

وكان المثنى شجاعاً مقداماً ، شهماً غيوراً ، مأمون النقيبة حسن الرأي ، راسخ المقيدة ، قوى اليمان ، شديد الثقة بنفسه بعيد النظر ، يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الشخصية ، يعترف بخطئه عند الحاجة بكل صراحة ولا يصر عليه ، وكان يشارك أصحابه في السراء والضراء والشدة والرخاء ، ضرب المثل الأعلى للإنسان الكامل في صفات الإنسانية ومزاياه — يذكر لنا التاريخ للمعنى جهاده مع العلاء بن الحضرمي للمرتدين مما أدى إلى إعادة سيطرة المسلمين على منطقة البحرين ، كما يذكر أنه أول مسلم هاجم الإمبراطورية الفارسية في عقر دارها فحمل عن المسلمين عبئاً لم يحمله غيره ، فهو الذي جرأ العرب على محاربة الفرس وهو الذي رفع معنويات العرب ، وحطم معنويات الفرس ، وكانت أعماله العسكرية في العراق مقدمة لفتحه فيما بعد ، وكانت معركة (البويب) تميداً لمعركة (القادسية) وايذاناً بانهيار الإمبراطورية الفارسية ، وانتشار الإسلام في ربوع بلادها ، وأخيراً جاد بروحه في سبيل عقيدته ، فمات شهيداً متاثراً بجروحه التي أصيب بها في معركة (الجسر) التي لولا قيادة المثنى في أعقابها لكان مصر المقاتلين فيها من المسلمين إلى الفناء .

إن المثنى كان نمطاً فريداً بين القادة في كل أدوار التاريخ فهو بحق مفترخ من أكبر مفاخر العرب والمسلمين في كل مكان ، وفي كل زمان . رضى الله عن بطل الأبطال ، ورجل الرجال، القائد الإنسان المثنى بن حارثة الشيباني .

وكما كان فارساً كان شاعراً مطبوعاً . طلما تعنى بالأمجاد الإسلامية وأشتبك شعره بروح الجهد والفاء — وهذه نماذج من أشعار المثنى التي يقتضى فيها بفتحاته ، وهي تدل على أن المثنى كرس كل شيء في حياته حتى شعره — للجهاد فهو بحق فارس الشعراء ، وشاعر الفرسان ولعل الكثير من شعره قد ضاع ، فلم يصل إلينا إلا جزء من أشعاره قال يذكر معركة التمارة :

غلبنا على خنان بيدنا مشيحة
إلى النخلات السمر فوق التمارق
 بشاطئ الفرات بالسيوف البارق

وقال يذكر يوم الخنافس :

صيبحنا بالخنافس جمع بكر
 بفتحيـان الوعـن من كلـ حـيـ
 تـبارـىـ فـيـ الحـوـادـثـ كـلـ جـيـلـ
 نـسـفـنـاـ جـمـمـهـمـ وـالـخـيـلـ رـوـدـ
 لـعـلـكـ تـلـمـسـ مـعـنـ فـيـ هـذـاـ الشـعـرـ ،ـ آـمـالـ القـائـدـ المـتـنـصـرـ فـيـ اـنـتـصـارـ
 جـديـدـ ،ـ وـتـلـمـسـ فـيـ صـوـلـةـ الـفـرـسـانـ الشـجـعـانـ الـذـينـ لـاـ مـثـيلـ لـهـمـ فـيـ كـلـ
 جـيـلـ ،ـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ خـيـولـهـمـ —ـ وـقـدـ قـطـعـتـ مـسـافـاتـ شـاسـعـةـ وـهـيـ
 تـحـمـلـ الـفـاتـحـينـ —ـ لـاـ تـنـتوـيـ عـلـىـ السـيـرـ الـأـبـصـورـةـ •
 إنـهـ صـورـةـ شـعـرـيـةـ رـائـعـةـ ،ـ لـاـ يـقـوـىـ عـلـىـ الـاتـيـانـ بـمـثـلـاـ الـشـاعـرـ

أـصـيلـ (١) •

(١) غير ميل : اي غير مائلين عن السروج ، ورود : بوزن عود : اي على مهل وتصغيره رويد : اي ان الخيل من التعب الشديد تسمى على مهل .

(٢) قادة فتح العراق والجزيرة — محمود ثابت خطاب من ٤٦ — ٤٧ — ٤٩ •

سعد بن أبي وقاص / فاتح العراق والجزيرة

هو سعد بن مالك بن أبيب بن عبد مناف بن زهرة بن كليب القرشى الزهرى ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان ابن حرب بن أمية ، وفي (كليب) يجتمع نسب الرسول ﷺ بنسوب سعد ، كما أن حمنة بنت وعبّام النبي ﷺ من بنى زهرة ، لذلك كان سعدا هو خال النبي ﷺ ، وبين زهرة أخوه لهذا افتخار به النبي ﷺ حيث قال في سعد « هذا خالي غليني أمرؤ خاله » .

كان قائداً ذا عقيدة راسخة ، جاهد لحماية حرية انتشار الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، وجاحد في الفتح الاسلامي خارج شبه الجزيرة العربية وقد نسى الناس كثيراً من قادة الفتح الاسلامي ، وحتى التاريخ نسي كثيراً منهم أيضاً ، ولكن سعداً كان من بين القادة الذين يذكرون الناس دوماً ولا ينسونهم أبداً كما أنه شرف بأعماله الخالدة صفحات التاريخ باسمه تابه في كل مصادر التاريخ وعلى كل لسان — لقد فتح سعد العراق وأكثر بلاد فارس وأذربيجان و (الجزيرة) وبعض (أرمينية) ولم يقتصر أمجاد سعد على هذه الفتوحات فحسب ، بل له أمجاد كثيرة هي أهم من فتوحاته هذه يتبعها على غيره من الفاتحين ، فقد أسلم سعد قبل أن تفرض اللوائح^(١) ، فهو من المسلمين الأولين السابقين إلى الاسلام ، وهو الذي أراق أول دم دفاعاً عن الاسلام ، وهو أول من رمى بسمهم في سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو أحد ستة الذين جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم الشورى وهو الذي كوف الكوفة فأصبحت القاعدة الامامية للفتح الاسلامي في الشرق كله وأمدت العالم الاسلامي بعدد ضخم من القادة الفاتحين وأولى الرأى والفكر والأدب فكانت هذه المدينة أعظم قواعد الفتح الاسلامي ، وأغزر مصادر الثقافة العربية .

(١) طبقات ابن سعد ٣٩/٣ .

(٢) معجم البلدان ٢١٦/٨ وفي الاصلية ٢٧٧/٦ ان الذي قال هذا الشعر هو مذعور بن عدي العجي .

ولقد كان مع هذا شاعراً يتغنى بفروسيته في المواطن التي شهدتها
وفي المصادر التي بين أيدينا بعض الشعر الذي ينسب إليه مما يدل على
تمتعه بسلقة شعرية فعلى سرية عبود بن الحارث التي بعثها النبي ﷺ
في شوال من السنة الأولى الهجرية ، رمى سعد أول سهم في الإسلام
وفي ذلك يقول :

الا أبلغ رسول الله أني حمي صاحبتي بتصور نبلى
أذود بما عدوهم ذياداً بكل حزونه وبكل سهل^(١)
فما يعتقد رام من ممد بسهم يا رسول قبلى
ويضيف ابن هشام في كتابه سيرة النبي ﷺ هذه الأبيات

الثالثة :
وذلك أن دينك دين صدق وذو حق أتيت به وعدل
ينجي المؤمنون به ويختزلي به الكفار عند مقام مهمل
فمهلاً قد غويت فلا تعيين غوى الحى ويحلك يابن جهيل
وفي معركة القادسية كان سعد مريراً فقال جرير بن عبد الله

البلجي :
أنا جرير كتبي أبو عمرو قد نصر الله وسعد في القصر
فلما بلغ سعداً خرج إلى الناس فاعتذر إليهم ، وأر لهم ما به من
الترح في فخذه والبيه وفي ذلك يقول سعد :

وفوق ذلك يذكر التاريخ له أنه جاهد بنفسه وماله في عهد النبي
^ﷺ مدافعاً عن المقيدة الإسلامية ويدعوه عن الإسلام الحنيف، فقد شهد
المشاد كلها مع الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام . وكان
له فيها أثر شخصي ملموس ، كما أنه أوصى ^{هـ} بذلك ماله لخدمة الدعوة
الإسلامية ، وبذلك استحق سعد أن يفاخر به النبي الأعظم عليه الصلاة
والسلام ويقول له : « أنت خالي » ويفديه بأبيه وأمه يوم أحد ويدعوه
له قائلاً : « اللهم أجب دعوته وسد ربيته » فكان سعد مجاب الدعوة
مشهوراً بذلك تخاف دعوته وتترجى ولا يشك في اجابتها . ولا ننسى
الفتوحات التي حققها ذلك الفارس العظيم سعد بن أبي وقاص يقول :
وما أرجو (بجيلاً) غير أني أعمل أجرهم يوم الحساب

فقد لقيت خيولهم خيلاً وقد وقع الفوارس في خراب
وقد دلفت بعريضتهم فيول كان زهاءهاً أبل جراب
ويلاحظ أن البيت الأخير فيه اقواءٌ .

وعندما اعتزل سعد الفتنة الكبرى ، طعم فيه معاوية بن أبي سفيان ، فكتب اليه يدعوه أن يعيشه على الطلب بدم عثمان يقول سعد : معاوى داؤك الداء المياء وليس لما تجاه به ٢٠ دواء أيدعوني أبو حسن على فلم أردد عليه ما يشأ وقلت له : اعطي سيفا بصيرا تميز به العدادة واللواه فان الشر أصغره كبرى وان الظهر تشقله - الدماء أتطعم في الذى أعيش عليه على ما قد طعمت به العقائد ليوم منه خير منك حبا وميلا أنت للمرء الفداء فاما أمر عثمان فدعنه فان الرأى أذهب البلاه والظاهر أنه كان لا يقول الشعر الا عندما يستثار ، فلا يجد غير الشعر وسيلة يعبر بها بما يخالج نفسه من أحاسيس وأفكار . وعلى كل حال فهو شاعر مقل له موهبة شعرية لا ترقى الى درجة الجيدين (١) .

^{٤١} (٢٨٨) قادة فتح العراق والجزيرة (٢٨٨) دار الفكر بيروت.

هاشم بن أبي وقاص الزهرى
فاتح محور ديارى من المدائن الى جلولاء

هو أبو عمرو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص من بنى (زهرة)
وهو ابن أخ سعد بن أبي وقاص فاتح العراق ، وقد أسلم هاشم يوم
الفتح فهو من الظلقاء ، وشهد غزوة (حذين) مع الذين اسلموا من
قريش يوم فتح مكة ، وبذلك نال هاشم شرف الصحابة وشرف الجهاد
تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام *

قاتل هاشم المرتدين تحت لواء خالد ويدرك التاريخ لعاصمه بأنه
قضى على مقاومات الفرس على محور المدائن - جلولاء - خانقين -
قصر شيرين - وهو المحور الرئيسي لانسحاب القوات الفارسية من
المدائن باتجاه فارس الذي تثيره فيه مواضع دفاعية متعددة تسهل
 مهمة الدفاع عنه ، مما يجعلنا نلمس أهمية قيادة هاشم ومقدار خدمته
للفتح الاسلامي ويدرك التاريخ له أثره الشخصي البارز في انتصار المسلمين
على الروم في معركة اليرموك الخامسة وعلى الفرس في معركة القادسية
الفاصلة ، ولا يزال المؤرخون يتساءلون حتى اليوم ، ترى ! لو لم
تصل قوات هاشم الى ساحة معركة القادسية في الوقت المناسب ،
فماذا كان يحدث للمسلمين في تلك المعركة ؟ *

ويتميز هاشم بشاعرية مطبوعة تلمس فيها اخلاصه الشديد
لعقيدته في كل حياته وتزوي بعض المصادر التي بين أيدينا بعض
الشعر لهاشم ، ومنه ما قاله لما جاء نبأ مقتل عثمان الى أهل الكوفة (١) :
أبايع غير مكرث علياً ولا أخشى أميراً أشغريها (٢)
أبايعه وأعلم أن سارضي بذلك أشد حقاً والنبياً
وقال وهو يقاتل في معركة صفين :

(١) الاصلية (٢٧٥/٦) .

(٢) يقصد ابا موسى الاشمرى والى الكوفة .

أمور يبني أهله محلاً قد عالج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل أو ينلا يتهمم بذى الكعب تلا
وقطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول :
الفحل يحمى شوله مقولاً

وعلى الرغم من صعوبة الحكم على شاعرية هاشم من هذه
الأبيات القليلة ، الا انه يمكن القول ، بأنه كان شاعرا له قريحة شعرية
لا يأس بها — لم تبلغ بشعره منزلة عالية تجعله بين الشعراء
المجيدين !

عمر بن مالك الزهري

(فاتح محور الفرات من الرمادي حتى ملتقى خابور بالفرات)

أسلم عمر بن مالك بن عقبة بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي يوم فتح مكة المكرمة ، وعمر هذا هو ابن عم والد سعد ابن أبي وقاص الزهري ، ويذكر التاريخ أنه صمد مع الصامدين دفاعاً عن دينه في حروب الردة ، وكان أحد الفاتحين المجاهدين الذين سجلوا فتوحات خذلتهم على مر الأيام ، ما بقي التاريخ وما بقي العرب والمسلمون في المنطقة الواقعة بين الرمادي حتى ملتقى خابور الفرات بنهر الفرات ، وما أعظمها من فتوحات ، وما أخذ فاتحها في التاريخ !

ان من حق هذا القائد العظيم أن يعرفه العرب والمسلمون في كل ديار العربية والاسلام وخاصة سكان المنطقة الشاسعة التي فتحها وإن يذكروه كلما تكلم الناس بالعربية في هذه المنطقة وكلما علا صوت المؤذن من فوهة منائرها : الله اكبر .

وكان يتمتع هاشم بموهبة شعرية ويدل شعره الذي وصل اليانا ، أنه كان شاعر الفرسان ويقتصر شعره على وصف المعارك ومن شعره ما قاله في فتح قرقيسيا^(١) :

ونحن جمعنا جمعهم في حفيتهم بعيت ولم تحفل لأهل الخفائر^(٢)
وسرنا على عدو نريد مدينة بقرقيسيا سير الكمة المساعد^(٣)
فجئناهم في دارهم بفتحه ضحي فطاروا وخלו أهل تلك المحاجر
ندين بدين الجزية المتواتر فنادوا اليانا من بعيد بأننا

(١) مجمع البلدان ٥٩/٧ .

(٢) الخفائر : جمع خفارة . وهذا معناها الخندق اي اننا لم تكترث لخنادقهم .

(٣) الكمة : جمع كمه وهو الشجاع ، المساعد : جمع مسمر لغول سعر النار وال Herb اي حيجهها والهبا .

قبلنا ولم تردد عليهم جزاءهم وخطناهم بعد الجزا بالبواطن^(١)
هذا مثال من شعر عمر يدل بوضوح على انه سخر حتى شعره
لخدمة الفتح الاسلامي وأشاره روح القتال في المسلمين ويدل على أنه
لم يكن شاعرا محترفا يمدح ويقدح حسب الظروف والاحوال^(٢) .

(١) الوخط : يقال وخطه الشيب اي خالطه او فشاليبيه او استوى
سوداه وبيانه وهو ايضا الطعن الخيف او الناذد ، انظر القاموس ٣٩٠/٤
(٢) راجع معجم البلدان ٤٨٧/٨ في مادة (هيـت) تجد اشعارا
الخرى .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي

فتح منطقة عرب الجزيرة وفتح أذربيجان وبعضاً أرمينية

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشي الأموي ، ويكتنأ أبوه وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، وأمهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن شمس بن عبد مناف .

كان الوليد ولا يزال من الشخصيات التي تعانى من اغراط الصديق في المدح وتغريب العدو في القدر ، إن التاريخ يذكر أن الوليد كان شريراً خمراً وأنه عزل عن الكوفة كذلك ، واستشك أنه تاب عن الخمر وحسن إسلامه بعد أيام شبابه ، لذلك كان من الفلائل جداً من بنى أمية الذين اعتزلوا معاوية في حربه مع على بن أبي طالب ، إذ آثر دينه على دنياه — ويدرك له التاريخ أنه كان من أوائل من عالج مشكلة الأماء والعبيد بصورة عملية فمنهم المخصصات المالية المناسبة شهرياً من بيت المال ويدرك له أيضاً أنه فتح منطقة عرب الجزيرة واستعاد فتح أذربيجان وأرمينية ثانية إلى بلاد المسلمين وفي قيادة الوليد يقول الخطيب :

أرى لابن أروى خلتين اصطفاهما
فتثال اذا يلقى العدو ، ونائله
فتقى يملا الشيزى وبروى بكه
ستان الردينى الأصم وعامله
يؤم العدو حيث كان بمحفل
يضم السمع جرسه وصواهله
لآخراء في أعلى اليفاع أوائله^(١)

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

عاصم بن عمرو التميمي قاتل مسجستان^(١)

أسلم عاصم بن عمرو التميمي في السنة التاسعة للهجرة مع قومه بنى تميم^(٢) ، فكان أسلامه بعد زوجة (تبوك) آخر غزوة قادها الرسول القائد بنفسه ، فقد نال عاصم شرف الصحابة^(٣) إذ كانوا لا يبولون القيادة إلا للصحابية^(٤) ولكنه لم ينزل شرف المجاهد تحت لواء النبي عليه السلام .

وقد قاتل عاصم تحت لواء خالد بن الوليد في حروب أهل الردة ، فأبلى فيها بلاء حسنا استحق من أجله تقدير خالد ، فوجهه أمام قواته على رأس قوة من المسلمين إلى العراق – كما سرح غيره من القادة ، وقاتل عاصم أيضا بقيادة خالد في العراق ، فقتل في معركة (المزار)^(٥) أحد قادة الفرس البارزين ، وبعد فتح الحيرة قاتل عاصم مع خالد في معركة الأبيار^(٦) وعين التمر^(٧) ودومة الجندل^(٨) وفي هذه المعركة يبعث خالد عاصما على رأس مفرزة من الفرسان لأسر أكيدر بن عبد الملك أحد أمراء دومة الجندل البارزين ، فنجع عاصم في أسره وسلمه إلى خالد فقتله^(٩) جزاء غدره بالمسلمين .

وكان عاصم أحد الشعرا الفرسان قضى عمره في ساحات القتال^(١٠)

(١) راجع مجمع البلدان ٣٧/٥ والممالك والملك للأصلخري من ١٣٨ ، وأثار البلاد وأخبار العباد للقرزيوني ٢٢٦ الطبرى ٣٧٧/٢

(٢) الأصلحة ٦/٤ والاستيعاب ٧٨٤/٢

(٣) الأصلحة ١/٣٠٩/٢ ١٩٤/٢

٥٥٤/٢

(٤) المزار : في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة – ميسان بينها وبين البصرة مقدار اربعة أيام راجع التفاصيل في مجمع البلدان ٤٣٣/٧

٥٥٧/٢

(٥) الطبرى ٦/٤ والاستيعاب على الثرات

١٩٤/٢

(٦) بلدة تربية من الأبيار

١٠) حصن على سبع مراحل من دمشق يقع بين دمشق والمدينة

(٧) الطبرى ٢/٧٨

وكان شعره معبراً عن أحاسيسه فارساً مجاهداً قال يصف فتح الحيرة^(١) صبّحنا الحيرة الروحاء خيلاً ورجلًا فوق اثناء الركاب
حضرنا في نواحيها • قصّوراً مشرفة كأضراس الكلاب
وقال يصف مطاردته للفرس بعد معركة النمارق^(٢) :
لعمري وما عمرى على بعهن لقد صبّحت بالخزي أهل النمارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بين درتا وبارق^(٣)
قتلناهم ما بين مرج مسلح وبين العوافي من طريق البذارق
وقدم الدهاقين^(٤) إلى أبي عبيدة آتية فيها أطعمة فارسية فلم يأكل
منها شيئاً حتى علم أنهم قربوا للأصحاب فقاتل عاصم^(٥) :
صبّحنا بالقبابس رحط كسرى مبوجها^(٦) ليس من خمر السواد
صيبحناهم بكل فتنى — كهى وأجرد سابع من خيله • عاد
فهم يفخرون باطعمتهم الشهيبة ، والعربي يفخر بالأبطال من الفرسان
وفي اليوم الأول من أيام القادسية خرج عاصم مرتجاً بقوله :
قد علمت بيضاء صفراء اللثب مثل اللجين قد تغشأه الذهب
أني أمرؤ لا من يعنيه السبب مثلى على مثلك يفريه المتب
وقال يصف كيف أجار المسلمين أمان عبد من عبيدهم لأهل
(جند نيسابور)^(٧) بهذه الأبيات :
لعمري لقد كانت قربة (مكتف) قربة صدق ليس فيها — تقاطع
أجارهم من بعد ذل وقلة وخوف شديد ، والبلاد بلا قلع
فجاز جوار العيد بعد اختلافنا ورد أموراً كان فيها سقازع
إلى الركن والوالى المصيب حكمة فقال بحق ليس فيه — تخالع
هذه نماذج من شعره تعبيراً صادقاً عن هواه العميق بالحرب
وخلق الفروسية ، فهو كأخيه القماع شاعر الفرسان أو هارس
الشعراء .

(١) النمارق : موضع قريب من الكوفة ٦٣٦/٢ .

(٢) درتا وبارق : موضعان قربان من النمارق القريبة من الكوفة .

(٣) الدهاقن : زعيم فلاحي العجم وزعيم الاقليم .

(٤) الطبرى ٦٣٩/٢ . (٥) المسیوح هو الترب بالغداة .

(٦) جند نيسابور : مدينة بخورستان . (٧)

ضرار بن الخطاب فاتح ما مسداًن في إيران

هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري^(١) كان أبوه الخطاب ابن مرداس رئيس بني فهر في زمانه ، وكان يأخذ الرابع لقومه ، وكان ضرار بن الخطاب يوم الفجار على بني محارب بن فهر وكان من فرسان قريش وشجاعتهم وشعرائهم المطبوعين الجودين ، حتى قالوا : ضرار بن الخطاب غارس قريش وشاعرهم^(٢) قاتل المسلمين أسد القتال^(٣) قاتلهم قتالاً هربيرا ، ورضي قاتل قريش في بدر رثاء حارا^(٤) وقاتلهم يوم أحد ، فلحق عمر بن الخطاب وجعل يصرمه بعرض الرمح ويقول : انج يابن الخطاب لا أقتلتك « فكان عمر بن الخطاب يعرفها له بعد إسلامه^(٥) وهذا يدل على حبه لعمر بن الخطاب وتقديره له على الرغم من اختلافهما بالمقيدة ، ولو لا ذلك لقتله كما قتل غيره من المسلمين ، فقد اختلف المؤوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم أحد ، فصر لهم ضرار فقالوا : هذا شهدنا وهو عالم بها ، فسألوه عن ذلك فقال : « لا أدرى ما أوشك من خرجكم ، ولكن زوجت منكم يوم (أحد) أحد عشر رجلاً من الحور العين^(٦) وقاتل المسلمين يوم (الخندق) فكان أحد الأربعين الذين وثبوا الخندق ، وكان أحد قادة قريش يوم (الخندق) يهاجم مواضع المسلمين بين حين وآخر ويجعل خيله فيها ، ويناوش أصحاب رسول الله ﷺ ويقدم رماته فيهمون ، قال ضرار يوماً لأبي بكر الصديق : « نحن خير لقريش منكم : أدخلناكم الجنة وأنتم دخلتموها النار » يريد أنه قتل المسلمين دخلوا الجنة ، وقتل المسلمين الكفار من قريش دخلوهم النار .

والحق أنه كان شديد العداوة للدين الحنيف ، فكان عنيقاً في خصومته له ولأصحابه ولو لا أن الإسلام يجب ما قبله لكان حسابه عند الله عسراً .

(١) مسداًن : عدة بدن راجع مجمع البلدان ٣٦٢/٧ .

(٢) الاستيعاب ٧٤٨/٢ وأسد النابية ٢٧٠/٣ .

(٣) الاستيعاب ٧٤٨/٢ وأسد الغابة ٤٠/٣ ، والمزياع الربع

والمعشار : المفتر .

(٤) الأصلة ٢٧٠/٢ . (٥) سيرة ابن هشام ٢ ٣٧٧/٢ .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ ٢٥/٢ .

(٧) أسد الغابة ٤٠/٣ والاستيعاب ٧٤٩/٢ .

اسلامه :

وقد اسلم ضرار يوم فتح مكة محسن اسلامه ، فلما التحق الرسول
عَلَيْهِ الْكَرَمُ الْأَعْلَى وارتدى العرب ، ثبت ضرار وأهل مكة على الاسلام
فكان أهل مكة من الدعامات القوية التي دافعت عن حياض الاسلام .

جهاده :

شهد ضرار يوم (اليمامة) تحت راية خالد بن الوليد فلما انتهت
حروب الردة توجه خالد الى العراق ، وكان ضرار مع قوات خالد ، فشهد
كل معارك العراق التي خاضها خالد هناك وكان هو الذي حاصر قصر
الغرين في فتح الحيرة ، وتحرك ضرار مع خالد الى ارض الشام بعد نقله
الىها من العراق ، فقد كان من جملة من اختاره خالد ليتعاونه في مهمته
الجديدة ، فشهد تحت لواء خالد كافة معاركه في طريقه من العراق الى
ارض الشام ، كما شهد معه معركة الجيوب الخامسة وشهد مع أبي عبيدة
ابن الجراح بفتح الشام ، وشهد القادسية ، وفي هذه المعركة غنم ضرار علم
الفرس الأكبر ، فعوض منه ثلاثة ألفا ، وكانت قيمته ألف ألف ومائتي
الف — كما شهد ضرار فتح المدائن القديمة على الصفة الغريبة من
النهار — وحينما رأى ضرار ايوان كسرى نادى بأعلى صوته (الله أكبر هذا
أبيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله) وكبر ضرار وكبر الناس مما
شهد معركة (جلولا) تحت لواء هاشم بن عبدة الزهرى كما فتح
سهل ماسبدان وكان فتحها بعد فتح حلوان^(١) .

الشاعر :

وكان ضرار من شعراء قريش المطبوعين الجودين ، ولم يكن
في قريش أشعر منه — ويحكي أن عبد الرحمن بن عوف كان في

(١) وانتظر قصة كاملة في الاصابة ٢٧٠ / ٣ وانتظر نماذج من شعره
قبل اسلامه في سيرة ابن هشام ١ / ٤٨ ، ٥٩ / ٢ ، ٣٧٧ / ٢ ، ٣٩٧٢ ، ٢٧٥ / ٣ ، ١٥٠ / ٣ ، ١١٢ / ٣ ، ١٠٢ / ٣ .

طريقه الى مكة فقال لرجل « ختنا » فقال عمر بن الخطاب : « ان كنت آخذا فعليك بشعر خرار بن الخطاب مما يدل على اعجاب الناس وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بشعر خرار المتن ». وشعره كثير وسنورد بعض ما قاله في الجاهلية وفي الاسلام كنماذج لشعره الرائع فمن شعره في الجاهلية قوله في مدح أم غيلان التي أراد قومها قتل ولدها غيلان فقامات دونه وخليصته من القتل^(٢) :

وносوتها اذن شمعت عوائل^(١) جزى الله عننا أم غيلان صالحها
وقد بفرت للثائرين ٠٠ المقاتلين فهن دفون الموت بعد اقترابه
وسالتها الشراح ثم القوايل^(٣) دعت دعوة (دوسا) فسالت شعابها
وما بردت منه لدى المفاصيل وعمرها جزاء الله خيرا فما وفى
خرجدت سيفي ثم قمت بمنصلي وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل

وقال يخاطب النبي ﷺ بعد الفتح^(٤) : يا نبى الهدى اليك التجائى وقريش وأنت خير لجاء
حين خافت عليهم سمة الار ض وعداهم الله السماء
والتقت حلقتا البطنان على القوم وتنددوا بالصليم الصناء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجرون - والبطماء

وقال في اسر قائده الفرس في معركة (ماسيدان) :
وبيوم حبسنا قوم (آذين) جنده وقطرانه عند اختلاف الموارد
وزرد وآذينا وفهدا وجمعمم غادة الوجه بالرهفات الصواعل
فجاءوا علينا بعد غب لقائنا بما سبذان بعد تلك الزلازل
لقد كان خرار فحلا ، لا تقل شهرة شعره عن شهرة فتوحاته .
توفي ١٧ هـ (م ٦٣٨)

(١) شمعت : متغيرات الشعر ، عوائل ما تعطلت من الحلى .

(٢) دوس : اسم قبيلة عربية ، والشعوب جميع شعوب ، والشراح
جمع شrage وهي سبيل الماء ، والقوابل التي تقابل بعضها بعضها .

(٣) الاسيعاب ٥٩٨/٢ .

ضرار في التاريخ :

يُفخر الشعراء بضرار شاعراً مجيداً ، ويُفخر الفرسان بضرار
فارساً مغواراً ، ويُفخر الابطال بضرار بطلاً مقداماً ، أما القادة
فيُفخرون به قائدًا فاتحًا ضمَّ إلى ربوع بلاد المسلمين منطقةً واسعةً
لأتزال تدين بالاسلام ، رضى الله عن الشاعر الفارسي — البطل
الفاتح ضرار بن الخطاب القرشي الفهري *

تافع بن الأسود (أبو نجيد)

تافع بن الأسود بن قلبه بن مالك التميمي شاعر أسيدي ، عرف بعد مشاركته في اخماد حركة الردة وكان من جنود خالد بن الوليد في معركة اليمامة ، وقد أبلى بلاء حسناً مع المؤمنين الذين آمنوا بالاسلام وجاهدوا في الله حق جهاده لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلة ، وبعد ما من السابقين في الاسلام ، ويبعد صدق ايمانه في شعره الذي أنشأه في الجهاد فإذا قرأت شعره تصفحت بين سطوره قوة عقيدته وحسن باليه وهو يقاتل الخارجين والمرتدين ويدافع عن بيضة الدين ، وإن هذا اليمان القوى كان هو الزاد الوحيدة للشاعر الذي ظل يمدده بالقوة ، ويلهب فيه روح العباس لمواجهة أعداء الله وتكون سلاحاً له في المواقف الحاسمة والتصدى للتزعزعات الشديدة ، وكانت الثقة بالنفس من خلال الاحتماء بالعشيرة تمثل حالة متميزة وجد فيها قومه حافزاً يدفعهم إلى المارك ، وإن هذا الاحتماء بالعشيرة كان حديث الصبر الجماعي الذي أصبح صفة مشروعة ، وقدرة قتالية عريضة تتبعها فيه القبيلة إلى جانب القبائل الأخرى مهمة الأضطلاع ، لأن الاحتماء بها ، والدعوة باسمها والاشارة بمفاخرها هي حالة من الاعتزاز في إطار الحس الكل لمجموع القبائل ، وهو استمرار لتراث عريق في الحديث عن مجده القبيلة الذي تتبعنه كل الاعتبارات وهذه الحالة أصبحت يدياناً من ميادين التمادح والتفاخر فأبو نجيد يعتبر تمثيلاً قوياً عتاد الحرب وهم الناهضون إليها إذا ركب الفرسان ويتحملون مسؤوليتهم في اشتداد الأزمات ، ويعملون دارعهم من الأعداء عند احتدام المياج :

بني تميم عتاد الحرب قد علموا والناهضون إذا فرسانها ركبوا
والحاملون إذا ما أزمهت فعل العشاير ان هم وان ضربوا
والفاسلون اذا ما خطأ جهلت عند الجموع وفهم تحفل الخطب
والمانعون من الأعداء دارهم عند الهياج اذا ما اهترط الطنب
والواردون على كسرى مدائنه قسراً ومن دونها بحر له لجب

(١) كتاب الغزوات لابن جبيش ١٨٩ .

الى ان يقول :
شمعت عليها ليوت ما يجمجمها
شمس باديهم سمر متفقة
اذا جلوها على الاعداء في فزع
وهو يستمد من معده وحسبه ما يباهي به لانه امتداد لهذا
المدن ، وصلة لهذا الفخر ، فهو من قوم لا تصيب اذا طعنوا
الا المقاتل ، ويدعو لل أيام الحاسمة عماشر تيم الذين يليون دعوة
الداعي ويجلون قاتماليوم الشديد ، ويسمو بهم الى كسرى ليلوي
مهزوما وهم اكفاء الملوك وأهل العز الثابت والارومة الأصلية وهم
الذري من نعم ، وتميم في استبسالها وجهاهدا صورة شرقة ، وفق
خصالها الحميدية حصيلة ما تر انسانية تتضمن المال للجار ، وتطعم
مادام الدهر ، وتبدل الندى للسائلين ، وتتنفق المال لفلك العنة وكشف
المغامر ، وتقود الخيل العتاق الى المدا خوارم لترد اعتداء ، ولتكسب
فخرا او تسجل محمدنا وكان لها الرابع عند المقادير وبهذا شرف الله
قديمه في الزمان الأول يقول :

الناس الى المجد والسؤدد ، وهم مصابيح ونجوم يقتدى بها وهم اκفاء الملوك العظام ، وأهل أرومة وأصل ثابت وبقارن بين فومه في الاسلام والزمان الأول ففي الزمان الأول (قبل الاسلام) تتميزوا بالصفات العربية الأصيلة من كرم الضيافة وحمامة الجار ، وسيرهم الى الوعي في عزيمة وجلادة واصرار وفوزهم بالغذائم والنصر المؤزر وفي الاسلام ساروا بالناس الى الفضيلة وكانوا أئمة يهتدى بهم ، ولبيوتا ضراغم هبوا لأهل الشرك وأذاقوهم الوبال والدمار بسيوفهم الصوارم .

وهم أهل عز ثابت وأرومة
وهم يضمنون المال للجار ما شو
وكان لهذا الحق منهم غنيمة
فذلك كان الله شرف قومه
وحيث أتي الاسلام كانوا أئمة
إلى عزة كانت سناء ورفعة
وهيوا لأهل الشرك ثم تكبوا
لهم برحوا يصونهم بسيوفهم
لدن غدوة حتى تولوا يسوقهم
من الراكبين الخيل شعنا الى الوعي
فتلك ساعي الاكبرمين ذوى الندى

وشعر الاسود وثيقة لتخليد الواقع وتسجيل لحركة التحرير
المتمثلة في الورود على كسرى ، ودخول المائش قسرا ، وتجاوزهم
لجيوش الفرس على كرتها ، والتوغل في أعماق ديارهم على الرغم
من اعدادهم الهائلة ووصولهم الى قصر كسرى بعد أن أنهزمت جيوشه
وفرت بقيايه الى آخر الممالك الحربية التي ذكرها في شعره ونلاحظ أن
صوت الحرب في هذا اللون الشعري واضح متغير تعلو الفاظه وتتحرك
ادواته ، وتتجزء دلالته فعناد الحرب والفرسان والضرب والهياج ،
والهزع والحروب ، والليوث الضراغم كلها صور ولفاظ حربية تعطى

قصائد لونا حربيا ، وترى المفاسدين التي يقف عليها بوشاح الأدوات
المقاتلة .

ان الفاظ الطعن ، وأدوات القتال ، والكتائب والجهاد والوغى
وصم القنا ، والملامح وغيرها من الألفاظ التي كانت تتناثر في شعره
وهو يؤرخ لكل معركة ويصور كل بطولة ، ويتحدث عن طبيعة القتال
واستخدام السلاح وأشكاله وهيئاته ، ويركب العبارات التي تضفي
على الألفاظ صبغ المجاز والاستعارة لتكون أوضح في التعبير ، وأجمل
في التناول .

كما يؤكّد دوره في الواقع الرئيسي والمركبة للقيادات: الفتوح ، وتوكّد بروزه وجهاً من الوجوه الممتدة ، وعقلاء من العقول الحميرة وإذا كان الطبعي قد أغفل ذكر أبي مفرز وهو يذكر يوم الشئي والزميل فان الشاعر قد فصل ذكرها ، ووقف على أسماء الرجال الذين أحيا بهم سيف المسلمين ، فالهذيل الذي كان مع روزبه قد ولّ هارباً بعد أن جرد المسلمين منهم السيف ولم يفلت من ذلك الجيش أحد فأوى إلى عتاب والزميل وداعهم بالبشر في عسکر خصم يقول في ذلك :

وسائل بالهذيل وما يلاقى
وعتابا فلا تنسى وعمسرا
الم نقطهم بالبشر طعننا
نساقفهم بما حتى تملوا
وليلي قد سببناها جهارا
وريحان الهذيل قد أصطفينا

وقد انتهت وقعة الثنى بانتصار المسلمين وارسال الأخماس الى أبي بكر الصديق مع الصباح المرتلى ، ويسجل الشاعر في هذه القطعة مسيرة الانتصار الرائع الذى سجله المسلمون والهوان والذلة التى تجرعوا المشركون الذين حاولوا ايقاف زحفهم والتعرض لنشر المبادئ الإنسانية السامية .

ونرى الشاعر في مكان آخر يتحدث عن الأحداث التي وقعت بعد

(١) هو الهذيل بن همران .

(٤) عتاب : هو عتاب صاحب الزميل وقد اوى اليم البديل هربا من جوش المسلمين يوم وقعة الشئ والزميل عند البقر بانجيزر شرقى الرصافة وهو الموقت الذى اوقع خالد بن سعيد بيته بتغلب ونمير وغيرهم سنة ١٥ هـ ايام ابن بكر رضى الله عنهما والبشر موقع من متأذل بيته تغلب يهتدى من عرض الفرات بن جهة البايدية وقد سمي باسم البشر بن هلال بن عقبة رجل من القرىء بن ناصيف وكان حضرى الفارسي فتهه خالد بن الوليد فى طريقه الى الشام بعد ان حاول منهجه من اجتياز البايدية

(٤) ليلى هي ليلى بنت خالد واروى ابنة المؤذن التمرى وكانتا في الاخساع التي ارسلت الى ابي بكر مع الصباح المزنى وريحاته هي بنت البديل بن هيرة وكانت مع السبي كذلك نفس المترجم من ١٧٠ :

فتح الحيرة وأثار إلى النصر المؤزر الحاسم الذي أقامه الله على المسلمين ويدرك تقسيم الفيء وما فرض على الاعداء من الجزية التي كانت سبباً من أسباب اطلاق سراحهم وقد حفلت هذه الأيام كما يذكر الطبرى بالكتب والمواثيق التى ترتب العلاقة بين المسلمين وأهل هذه البلاد وهم يخضعون لما طلب منهم صلحًا أو جزية أو إسلاماً — يقول :

الا أبلغا عن الخليفة أنسا
غلينا على نصف السواد الأكابر
 علينا على ماء القرات وأرضه
 عثية جزنا بالسيوف الأكابر
 هدرت علينا جزية القوم بعد ما
 خربناهم ضربا يعط الشوابير^(١)

ويقول أبو مفرز :

لقيسا يوم ليس وأمني
 فلم أر مثلها فضلات حرب
 قتلنا منهم سبعين الفا
 سوى من ليس يحصى من قتيل
 ويقول في هذا المتن أيضًا :

الا أبلغا عن العربي رسالة
 فقد قسمت علينا فيء الأعجم
 فلكلنا به عنهم وثاق العاصم
 جميعا ولم نعدل بحر القادر
 وحيثئني اللجمي عن دجلة السرى
 ورد علينا غربا بالطماطم^(٢)

ونرى أنها مفرز يؤرخ لما وقع بعد الحيرة ، وما اقترب به هذا المقطع من أهمية فالرسول الكريم صلوات الله عليه قد ذكر فتح الحيرة ولما فتحها خالد ابن الوليد على هلاة المقطع ثمانى ركعات لا يسلم فيها^(٣) وقال فيها قوله الشهورة : لقد قاتلت يوم مؤته مانقطع في يدي تسعة أسياف ،

(١) الشير : ما بين أهل الأيام وأهل الخنصر وهو مذكور والجيم الشبار ، الآيات في غزوات ابن خبيش الورقة ١٨٣ ،

(٢) الآيات في مجمع البلدان ليادوت وفي كتاب الفتوح لابن خبيش الورقة ٣٤ ،

(٣) الطماطم : الأعجم الذي لا ينصح ،

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ٣٦٦/٢ ،

وَمَا لَقِيتُ كَوْنَمْ لَقِيَتْهُمْ مِنْ أَهْلَ فَارِسَ ، وَمَا لَقِيتُ مِنْ أَهْلَ فَارِسَ قَوْمًا
كَاهْلَ أَلْيَسْ وَكَتَبَ لَهُمُ الْكِتَبَ الَّتِي تَعَاهَدُهُمْ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَالْمُنْتَهَى سَنَة
إِثْنَيْ عَشَرَةَ وَالشَّاعِرُ هُنَى يَقُولُ عَنْهُ هَذَا الْفَتْحُ الَّذِي يَنْلَبِبُ فِيهِ الْأَكَاسِرَةَ
عَلَى (نَصْفِ السَّوَادِ) وَ (مَاءِ الْفَرَاتِ) وَجِيشُ الْمُسْلِمِينَ يَجُوزُ أَكَابِرَ
الْفَرَسِ بِالسِّيَوِيفِ وَيَحْلِمُهُمْ عَلَى دَفْعِ الْجَزِيرَةِ بَعْدَ أَنْ خَضَدُ شَوَّكَتُهُمْ وَحَلَّ
نَظَامُهُمْ وَوَهْنَ كَيْدُهُمْ ، وَفَرَقَ كَلْمَتُهُمْ بَعْدَ أَنْ جَاءَ إِلَيْهِمْ بِقَوْمٍ يَحْبُّونَ
الْمَوْتَ كَمَا يَحْبُّ الْفَرَسَ الْحَيَاةَ .

وَقَدْ سَجَلَ الشَّاعِرُ أَحَدَاثَ الْقَادِسِيَّةَ فِي ذَكْرِ الْعَدِيبِ الَّذِي صَبَحَ
بِمَا أَفْعَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ يَكْبُرُونَ تَكْبِيرَةَ دُوَّتْ لَهَا الْأَرْجَاءُ ،
وَيَقُولُمْ يَا اللَّهُ أَنْ هَذِهِ التَّكْبِيرَةُ لَمْ تَكُنْ إِلَّا تَكْبِيرَةً قَوْمٍ عَرَفَتْ
فِيهِمُ الْغَرْ :

نَزَلَنَا بِاحْسَاءِ الْعَدِيبِ وَلَمْ تَكُنْ لَنَا هَمَةُ إِلَّا اغْتِيَالُ الْمَنَازِلِ
لِنَحْوِي أَرْضًا أَوْ نَنَاهِبُ غَارَةً يَصْبِحُ لَهَا مَا بَيْنَ بَصَرِيْ وَبَابِ^(١)
وَيَخَاطِبُ دَجْلَةً طَالِبًا مِنْهَا أَنْ تَشَكِّرَ إِلَهَ جَلَّ جَلَلَهُ الَّذِي أَرْسَلَ
إِلَيْهَا هُؤُلَاءِ الْجَنُودِ الْفَاتِحِينَ لِيُشَرِّقُوا قِرَاهَا الَّتِي تَحُولَتْ إِلَى جَنَّاتٍ
فِيهَا يَقْضِي هُؤُلَاءِ الْبَوَاسِلَ الْمُخَلِّبِينَ مِنْ حَمَّةِ الْإِسْلَامِ

يَا دَجْلَلَ أَنْ إِلَهَ قَدْ أَشْجَاكَ

هَذِيْ جَنْدُ اللَّهِ فِي قَسْرَكَ

فَلَتَشَكِّرِي الَّذِي بَنَ حَسَابَكَ

وَلَا تَرُوعِي مَسْلَمًا أَنْتَكَ

كَمَا يَتَذَكَّرُ شَاعِرُنَا أَبُو مَذْدُرُ بِفِتْحِ « بَهْرَسِيدَ » وَكَيْفَ أَذَاقَ
الْمُسْلِمُونَ الْأَعْدَاءَ الْفَزَاعَمَ الْمُنْكَرَةَ وَكَانَ ذَلِكَ فَتْحًا عَظِيمًا لِلْمُسْلِمِينَ :

رَعْمَتْ أَنْتَ لَكُمْ قَطْنِينَ وَقُولُ الْفَخْرِ يَخْلُطُهُ الْفَجُورُ
جَرِيَّتْ لِيْسَ ذَلِكُمْ كَدَكِمَ وَلَكَنْتَ رَحْنِي يَكْسِمُ تَدُورَ
وَلَوْ رَأْمَتْ جَمَّ وَعَكْمَ بِلَادِي اذْنَ كَرَتْ رَحَانَا تَسْتَدِيرَ
فَلَنَّا حَرَكَمْ بِالْسَّوَى قَدِيسَ وَلَمْ تَسْلِمْ هَنَالِكَ بَهْرَسِيدَ

(١) غزوَاتِ ابنِ حِبْشِ الْوَرَقَةِ ١٦٠ وَانْظُرْ شَعْرَاءَ اسْلَامِيَّوْنَ ١٢٣ = ١٢٤ .

فتحت اليمه سير باذن ربى
ادتني على ذلك الامبرى
وقد عضوا الشفاه ليهلكونا
ودون القوم مهراً جرور
وطاروا قضاة ولمم زئير -
(١)

ومع هذا التسجيل التاريخي الذي حققه الشاعر ، والتواءل
البطولي الذى شارك فيه ، فان شعره ظل يعيدها عن التناول الا من قطع
قصصية تداولها بعض المؤرخين وهى لا يمكن أن تكون بهذه الأهمام
التي وردت في هذه الكتب ، لأن هؤلاء المقاتلين عاشوا فترة طويلة ،
واكبووا أحداثاً كبيرة ، وخاضوا معارك طاحنة ، وسجلوا ماكث خالدة
وكان لهم فيها أدوار مشهورة ، ولكن هذا الشعر الذى مازجه الصدق
وغير عن الحقائق مصدر عن عاطفة الرجال الذين عاشوا أحداث
المعارك لم يجد ذله في كتب التاريخ الا ما ندر كما أنها لم تجد لقائياً طبقة
بين الشعراء وأوشكت شخصهم أن تتضليل وتذوب في طيات الأحداث
المتاريسية لولا هذه الومضات المتبقية التي لمعت في زهو الانتصار
العربى وأشرقت في احتدام المعارك الحاسمة ، فكان لونهم البطولى
القامشوا وأعمالهم الخالدة مأثر إنسانية سامية *

(١) أرجو الى غزوات ابن حبيش الورقة ١٨٣ ب وشمear، أسلاميون:

ربيعة بن مقرن الصبي

هو ربيعة بن مقرن بن قيس بن جابر بن خالد بن عمر وينتهي
نسبه إلى نزار الصبي وهو من شعراء مصر المعدودين ، أسلم وحسن
آسلامه^(١) وقد ذكره ابن حجر في قسم المخضرمين
من الاصحاب^(٢) وقد أسلم وشهد القadesية وغيرها من
الفتوح وعاش مائة سنة وهو القائل في ذلك :

ولقد أنت مائة على أعدها حولا فخولا إن بلاها مبتل
ومن قصصه التي تحدثنا بها كتب الأدب أنه أسر واستيق ماله ،
فخلصه مسعود بن سالم بن أبي ليلى بن ربيعة وفي ذلك يقول

مادحًا له :
كفاني أبو الأشواش المنكرات كفاه الإله الذي يحذر
أعز من السيد في منصب إليه العذارة - والغدر
ويقول فيه أيضًا من قصيدة فعنها بعض الغزل الرائع وقد

حاكي مقدمة القصيدة الجاهلية :
بانت سعاد فامسى القلب محمودا
وأخلفتك ابنة الحر المواجهدا
كانها ظبية بكر أطاع لها^(٣)
من حومل تلعت الجو أو أودا^(٤)
قامت تريك غدة البين منسدلا
تخاله فوق متنيها العناقيدا^(٥)
وباردا طيبسا عذبا مقبله
مخيفا بيته بالظلم مشهودا^(٦)
ووجرة حرج تدمى مناسنها
أعملت هابي حتى تقطع - البيدا^(٧)

(١) ارجع إلى مختصر الأغاني ٤/٦٣ والمعيني ٢٢٩/٢ وشرح
شواحد المقني للسيوطى والخزانة ٢/٥٦٦.

(٢) الأصلية ١/٥١.

(٣) أطاع : كفر المرتع واسع ، والتعلمات : جمع علمه يسكن اللام
وهي من الأضداد تكون لما أرتفع وانخفض ، حومل والجرواد : مواضع .

(٤) منسدلا : برييد شعرها المسترسل .

(٥) وبارداً على به ثغراها ، وكلما بريد الثغر كان أطيب لريحه
الخفيف مثل المخلل اي قد خفيف بالظلم وهو ماه الاسنان واذا صفت ورقته

كان لها ظلم ، مشهوداً : كان طعمه طعم الشهد .

(٦) الجبرة : الناقة ، الحرج : الطوبولة على وجه الأرض ، اعملتها

شررت عليها .

كُلْفَتْهَا فَرَأَتْ حَقًا تَكَافِئْ
وَدِيقَةً كَأَجْيَجِ النَّارِ صِيفُودا^(١)
فِي مِهْمَهْ قَذْفٍ يَخْشَى الْهَلَكَ بِهِ
أَصْدَاؤُهُ مَاتَتِي بِاللَّيلِ تَعْوِيدًا^(٢)
ثُمَّ يَذْكُرْ بِمَجْهَتِهِ وَغَبْطَتِهِ بِلَقَاءِ مَسْعُودَ الَّذِي خَاصَهُ مِنَ الْجَسِّ
فَقَالَ :

لَا تَشْكِتْ إِلَى الْأَيْنِ قُلْتْ لَهَا
مَا لَمْ أَلِقْ أَمْرًا جَزْلًا مَوَاهِبَهِ
سَهْلُ الْبَنَاءِ رَحِيبُ الْبَاعِ مُحَمَّدًا^(٣)
أَسْمَعْ بِمَتْنَلِكْ لَا حَلْمًا وَلَا جُودًا
وَلَا عَفَافًا وَلَا صَبْرًا لِنَاثَةَ^(٤)
وَقَدْ سَمِعْتْ بِقَوْمٍ يَحْمُدُونَ فَلِمْ
أَشْبَهْتُ فِي ذَلِكَ الصَّيْدِ الْمُصَنَّادِيدَا^(٥)
لَا زَلْتُ عَوْضَ قَرِيرِ الْعَيْنِ مُحَسُودًا
وَلَا عَفَافًا وَلَا صَبْرًا لِنَاثَةَ
وَقَالَ يَمْدُحُهُ أَيْضًا :

كَفَانِي أَبُو الْأَشْوَسُ الْمُكَرَّاتِ
أَعْزَزْ مِنَ السَّيْدِ فِي مَنْصَبِ
إِلَيْهِ الْعَزَازَةِ — وَالْفَخْرِ

وَالشَّاعِرُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَيَّامِ قَوْمَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيَسْجُلُ هَذِهِ الْأَيَّامَ ،
وَيَذْكُرُ الْقَبَائِلَ الَّتِي نَكَلَتْ بِهَا قَبِيلَتِهِ ، وَيَمْدُدُ الرَّجُالَ الَّذِينَ كَانُوا لِقَوْمِهِ
شَرْفَ قَتْلِهِمْ ، وَهُوَ لَا يَبْيَغُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَّا تَذْكِيرُ الْأَجْيَالِ بِهَذِهِ الْمَفَارِضِ
فَيَقُولُ :

بَنُو الْحَرْبِ يَوْمًا إِذَا اسْتَلَمُوا حَسَبْتُهُمْ فِي الْحَدِيدِ الْقَرْوَمَا

(١) الْوَدِيقَةُ : أَشَدُ الْحَرِّ ، الصِّيفُودَ : الشَّدِيدَةُ أَيْ كُلْفَتْهَا وَدِيقَةً
فَرَأَتْ لِنْجَابَتْهَا مَا زَرْتَهَا حَتَّىٰ عَلَيْهَا .

(٢) الْمَهْمَهَ الْقَلْرُ الَّذِي لَا يَأْدُنُهُ وَلَا يَنْتَهُ ، الْقَذْفُ بِمَتْنَلِكِهِ وَبِضَمَنِهِ
الْبَحِيدَةُ الْأَصَدَاءُ : جَمِيعُ مَسْدِيِّهِ وَهُوَ الذَّكَرُ مِنَ الْيَوْمِ ، مَاتَنِي : مَا تَنَصَّرَ
وَمَنْتَهِ التَّوَانِي .

(٣) الْأَيْنُ : التَّعْبُ وَمَسْعُودُ وَالْمَرَادُ بِهِ الْمَدْوَجُ ،

(٤) جَزْلُ الْمَوَاهِبُ : كَبِيرُ الْمَطَاءِ .

(٥) الْمُصَنَّادِيدَ : قَوْمٌ رَبِيعَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ بَكْرٍ وَهُوَ الْجَدُ الْأَعْلَى لِلْمَادِجِ وَالْمَدْوَجِ
وَفَيْلُ الْمُسَيْدِ : قَوْمٌ رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُونَ يَقُولُ لَا أَخِيرُهُمْ عَنْكَ بِالْبَاطِلِ وَإِنَّا
أَمْدَحُكَ بِالْحَقِّ .

(٦) الْمُصَيْدُ : جَمِيعُ أَمْسِيدِهِ وَهُوَ الَّذِي لَا يَلْتَقِتُ مِنَ الْكَبِيرِ
الْمُصَنَّادِيدَ الْكَرَامَ ، إِرَادَ بِعَوْضِ الدَّهْرِ وَهُوَ مَبْنَى عَلَى الْقَمَرِ .

فدى بزاحة أهلى لهم
واد لقيت عامر بالنمسا
به شاهروا الى أمواهم
وسائل لنا مذحج بالكلاب
قدارت رحانا بفرسانهم
بطعن بجيش له عسائد
وضحت بتين أحشادهم
تركنا عصارة بين الرماح
ولسولا فوارستنا ما دعت
وقد تحدث ربعة عن صنيعه في حرب القادسية وبلاطه فيها ،
وقد نعتها بمعركة (الفيول) لاشتراك الفيلة في هذه المعركة ، ويعدو
أن القصيدة نظمت على مراحل ، لأن الشاعر في بعض أبياتها يغدر
باقتحامه حوانيت الخواربين فيقول :
أبناء فارس بيسنها كالألعاب
وشهدت معركة الفيول وحولها
متسللي حلق الحديد كأنهم
ثم يقول :
فأتيت حانوتا به فصاحت
صفباء صافية الذي أعلى بها يسر كريم الخيم غير مدخل
وفي شعره إشارة الى أنه زار أبنية الملوك ودخل عليهم :
دخلت أبنية الملوك وشرق رسول الرء ما لم يفعل
وقد تجلى أيامه باش و اعتقاده بالقدر و سخريته من سوانح
الظير يقوله :
أصبح ربي في الأمر يرشدني اذا نويت المسير والطلب
لا سوانح من سوانح الظير يثنى ولا ناعب اذا نعا

تقدير شعره :

يعد شعر ربعة الوثيقة الوحيدة التي تفسر لنا أحداث حياته ،
وتوضح جوانبها وتكشف عن اتجاهاته الشعرية ، وطريقته التي كان

يسلكها في نظمه — فنراه يسلك الطريقة القديمة في مقدمة القصيدة
فيبدأ بالغزل ، ويذكر المعهود والأيام ، فتهبج الذكريات ، وتنفيس
الدموع سجوما :

لَنِ الْدِيَارِ كَانَهَا لَمْ تَحْسَلْ
بِجُنُوبِ أَسْنَمَةِ فَقْتِ الْعَنْصَلِ
دَرَسْتُ مَعَالِمَهَا فَيَا قِيَرِ رَسْنَمَهَا
خَلَقَ كَعْنَوَانَ الْكِتَابِ الْمَحْوُلِ
دَارَ لَسْمَدِي أَذْ سَمَادَ كَانَهَا
رَشَأَ غَرِيرَ الْطَّرْفَرِ خَصَنَ الْمَفْصَلِ
ثَمَاءَ وَاضْحَى الْمَوَارِضَ طَفْلَةَ
كَالْبَدْرُ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ النَّجْلِيِّ
وَكَانَمَا رَيْحَ الْقَرْنَفَلِ نَشَرَهَا
أَوْ حَنْوَةَ خَلَطَتْ خَزَامَيْ حَوْمَلِ^(١)

فربما شاعر تقليدي حتى في الانتقال من الوقوف على الأطلال
إلى وصف ناقته وهو يجري في أوصاف هذه الناقلة مجرى التدامي لأنه
ينعمتها بالأداء ، والمعبرانه ، والمذادرة وكثار البعض ، وجمالية ، ثم
يتنتقل إلى تشبيهها — بالشتم كما يشبه الأعنى ولبيد راحلتهما وتکاد
 تكون صورته التي يذكر فيها حمار الوحش وانته وما يصادفها من
 متاعب وما يتعرضان له من مخاطر الواحة فنية رائعة تلوح فيها آثار
 الأعنى ولبيد :

وَقَتَ اسْتَسْأَلَهَا نَاقَتِي
وَمَا أَنَا أَمْ مَا سُؤَالَى الرَّسْوَمَا
وَذَكَرْنِي الْمَهْدِيَّ أَيَامَهَا
فَهَاجَ التَّذَكِّرُ قَلْبَا سَقِيمَا^(٢)

(١) أَسْنَمَة : بِرْلَة ، وَقِيلَ أَكْهَى مَعْرُونَة بِعَرْبَ طَخْفَة وَقِيلَ أَوْدَة ،
وَالنَّفَت : الْكَتِيبُ مِنَ الرَّمَلِ لَيْسَ بِالْمَشْرُفِ وَلَا الْمَنْدُ ، وَالْعَنْصَلُ : بَصَلٌ
مَعْرُوفٌ .

(٢) الْمَحْوُلُ : الْفَدِيَّ إِنِّي عَلَيْهِ الْحَوْلُ ،
(٣) الرَّشَا : وَلَدَ الظَّبَيْسَةِ أَذْ قَوَى ، وَالرَّحْصُ : الْلَّبَنُ النَّسَاعِمُ ،
(٤) أَصْلُ الشَّمْمَ : ارْتَقَاعُ الْأَنْفَ ، وَهُوَ كَتَبَةُ مِنَ الْكَرْمِ وَالرَّقْعَةِ
وَالْعَلُو وَشَرْفُ النَّفَسِ ، وَالْمَعَرْضُ : مَا يُعَرَّضُ فِي جَسَابِ مِنَ السَّيَادَةِ مِنْ
السَّحَابِ وَعَلَى ذَلِكَ الْمَعَرْضُ فِي الْأَسْنَانِ ، وَلِهَذَا قِيلَ الْمَعَرْضُانِ لَمْ يَبْدُ
مِنْ جَانِبِهِ ، الْمَجْلِيُّ : الْمَكْتَفِ .

(٥) الْحَنْوَةُ : نَبَاتٌ سَهْلَنِ طَبِيبٌ ، وَقِيلَ عَشَبَهُ وَضَيْثَةُ ذَاتِ نُورٍ أَحْمَرٍ ،
وَلَهَا قَضْبٌ وَوَرْقٌ طَبِيبَةُ الْرَّيْحَ ، وَقِيلَ الْحَنْوَةُ الْبَرْحَانَةُ ، وَالْخَزَامِيُّ : نَبَاتٌ
طَبِيبُ الْرَّيْحَ وَاحْدَتُهُ خَزَاماً ، وَقِيلَ عَشَبَهُ طَوِيلَةُ الْعِيدَانِ صَغِيرَةُ الْوَرْقَ ،
حِبَرَاءُ الزَّهْرَةُ طَبِيبَةُ الْرَّيْحَ لَهَا نُورٌ كَوْرُ الْبَنْسَاجُ وَضَرَبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي طَبِيبَ
الرَّائِحَةِ ، وَجَوْمَلُ : مَوْجَعٌ .

ففاضت دموعي فنهنتها
فعديت أدماء عزيزه
كتاز البضيع جمالية
كاني أوشبح أنساعها

على لحيتي ورداتي سجوماً
عذفراً - لا تعل الرسمياً
إذا ما يفمن تراها كتسوماً
أقب من الحقب جايا شتيمها

وريبيعة كثير التشبّيات المستقاة من بيته دون مبالغة أو مغالاة ،
غمحبوبته سعاد كأنها ظبية بكر ، وهي تزيك منسلاً تخاله فوق منتنيها
العنقيـد - كما استخدم ضربـوا من الطيـاق والجـناس والـاستعـارـة
والـجاز تحملـنا على الـاعـتقـاد بـأن الشـاعـر كان يـمـيلـ إلى الصـنـعـةـ فيـ نـظـمـهـ ،
وكانـ إلىـ جـانـبـ ذـلـكـ يـمـيلـ إلىـ اـسـتـعـمـالـ الأـدـواتـ وـالـصـورـ وـالـأـلـوانـ .
ويقفـ رـبـيـعـةـ فيـ صـفـهـ الشـعـرـاءـ الفـرسـانـ فيـ أـوـصـافـ الـخـيلـ لـأـنـهـ
أـدـرـكـ قـيمـتهاـ وـعـرـفـ أـهمـيتهاـ ، فـوـصـفـهاـ وـصـفـاـ دقـيقـاـ ، وـرـفـحـهاـ إلىـ مـصـافـ
الـبـشـرـ ، تـقـدـيرـاـ لـهـاـ وـاعـتـراـفاـ بـفـقـلـهاـ وـيـجـمـعـ مـؤـرـخـ الـأـدـبـ عـلـىـ أـنـهـ
كـانـ أـحـدـ شـعـرـاءـ ضـرـ المـدـودـينـ فـيـ الجـاهـلـيـةـ وـذـكـرـهـ دـعـبـ فـيـ طـبـقـاتـ
الـشـعـرـاءـ وـقـالـ حـمـادـ الرـاوـيـةـ دـخـلتـ عـلـىـ الـوـلـيدـ بـنـ يـزـيدـ وـهـوـ مـصـطـبـحـ
وـبـيـنـ يـدـيـهـ مـعـبدـ وـمـالـكـ وـابـنـ عـائـشـةـ ، وـحـكـمـ الـوـاـدـيـ وـعـمـرـ الـوـاـدـيـ
يـنـفـونـهـ ، وـعـلـىـ رـأـسـهـ وـصـيـفـةـ تـسـقـيـهـ لـمـ أـرـ مـثـلـهاـ تـامـاـ وـكـمـالـاـ وـجـمـالـاـ ،
فـقـالـ لـىـ الـوـلـيدـ : يـاـ حـمـادـ : إـنـ أـمـرـ هـؤـلـاءـ إـنـ يـفـنـواـ صـوـتاـ يـوـافـقـ
صـوتـ هـذـهـ الـوـصـيـفـةـ وـجـمـلـهاـ لـمـ يـوـافـقـ قـولـهـ صـفـتـهاـ فـمـاـ أـنـ أـحـدـ مـنـهـمـ
بـشـئـ فـأـنـشـدـنـيـ أـنـتـ مـاـ يـوـافـقـ صـفـتـهاـ وـهـيـ لـكـ فـأـنـشـدـتـهـ قـولـ رـبـيـعـةـ :
دارـ لـسـعـدىـ أـذـ سـعـادـ كـانـهاـ رـشاـ غـيرـ الـطـرفـ رـخـنـ المـفـصلـ
فـقـالـ لـىـ الـوـلـيدـ أـصـبـتـ وـلـقـ صـاحـبـ الـأـغـانـيـ بـعـدـ ذـلـكـ بـقـولـهـ :
«ـ وـعـدـ الـقـصـيدةـ مـنـ خـارـ الشـعـرـ وـجـيـدـ وـحـسـنـهـ »

(١) نهنتها : كففتها ، سجوما : متنابعة .

(٢) الآباء : البيضاء أراد النافلة ، وعديتها : عزلها للرجل وأخترتها ، العبرانة : التي تشبه بالغير لصلابتها والمعادفة : الفخمة ، الرسم : ضرب من السير .

(٤) الكبار ، المكتنزة ، البضيع : اللحم ، الجمالية : التي تشبه الجمل ، البقاء : ضرب من الرعاء ليس بالشديد الكروم : التي تذكر الرعاء .
 (٥) الانساع : سيرور عراض تشد بها الرجال ، وتشيحيما : شدما

الاتب : الصابر ، والحقب : جمع احتب وهو الحمار الوحشى الذى في
بطنه بياض ، الجاب : الغلظيب ، الشتم : الكربة الوجه .
انتظر الاغانى ٩٢ / ١٦ و الشعر والشعراء ٢٣٦ والاصلية ٥٦١ / ١

خفاف بن ندبة

نسبه وأمرته :

هو خفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن الشريذ بن رياح السلمي ، وأمه ندبة (بضم النون وفتحها) وكانت سوداء حبشية واليها ينسب ولقب بالسلمي نسبة الى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصنه ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار وهو من شعراء بني سليم الذين عرفوا بأمهاتهم وعدة ابن قتيبة في التسوبين الى غير عشائرهم وآبائهم أما كنيته فأغلب المصادر تشير الى أنه أبو خراشة وله يقول عباس بن مرداس السلمي وكان يهاجيه :

أبا خراشة : أما أنت ذا نفر فان قومي لم تأكلهم الضبع
وهو من أغربة العرب اذين اختلف في عددهم فقيل ثلاثة : عنترة
وأمه زبيبة سوداء ، وخفاف بن عمير الشريدي من بني سليم وأمه ندبة
واليها ينسب وقد سبها الحارث بن الشريذ حين أغاث على بني الحارث
ابن كعب ، ووربها لابنه عمير فولدت له خفافا ، والسليك بن عمير
السعدي ، وأمه سلکه واليها ينسب .

وخفاف شاعر مخضرم عاش في الجاهلية دهرًا ثم أدرك الاسلام
فأسلم ، ولم تتمد به الحياة طويلا لأنه مات في زمن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، وحياة هذا الشاعر غير واضحة المالم ، وتعد مهاجاته
للعباس بن مرداس من أوضح المعالم البارزة في حياته لأنه أظهر فيها
شخصيته ، وصور صفاته وأبرز الجوانب الحقيقة التي كانت تدور
في نفسه وقد خدمته هذه المهاجاة أكثر مما خدمه شيء آخر .

وقد ذكر صاحب الأغاني أسباب المهاجاة فقال : إن خفافا كان في
ملا من بني سليم فقال لهم^(١) ان عباس بن مرداس يريد أن يبلغ علينا
ما بلغ عباس بن أنس ويأتي ذلك عليه خصال قعدن به — فقال لهم رجل
من رهط العباس ، وما تلك الخصال يا خفاف قال إنقاذه بخيله عند

(١) الاخير ٢٤/١٦ مسامي .

الموت ، واستهانته بسبايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكالبته للصالحية على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى الى العباسى فأخبره الخبر فقال العباسى يا ابن ، ان لم أكن كالاوصم في فضله ، فلست كخفاف في جهله ، وقد مضى الأوصم بما في أمن وخلفني بما في غدر فلما أسمى تعنى وقال :

خاف ما تزال تجسر ذيلا
إذا ما عاتبتك ينسو سليم
ثنت لهم بداهيةة — ناد^(١)
وقد علم العاشر من سليم باني غييم حسن الأيدادى
فاورد يا حسافت فقد بليتم بطن واد^(٢)

قا لشيم أصبح فاتي خفافا وهو في ملا من بني سليم فقال : قد بلغتني مقالتك يا خفاف والله لا أستم عرضك ، ولا أسب أيام وأمك ، ولكن رمى سوادك بما فيك ، وانك لتتعلم أنى أحصي المخاف واتكل على السبي ، وأطلق الأسير ، واصون السبيبة ، وأما زعمك أنى اتقى بخيلى الموت ، فهات من قومك رجلا أتقى به ، وأما استهانتك بسبايا العرب فانى أحذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا وأما قتلى الأسرى فانى قتلت الزبيدي اذ عجزت عن ثارك ، وأما مكالبتي الصالحية على الأسلاب فواله ما أتيت على مسلوب قط الا نلت سالبه ، وأما تمنيک موتي فان مت قبلك فاغن غنائي ، وان سليمان تعلم أنى أخف عليهم مؤنة وأثقل على عدوهم وطأة منك ، وانك لتتعلم أنى ابحث حمى بني زبيد وكسرت قوى بني الحارث واطفال حمرة خشم ، وقلدت بني كانة قلائد العار ثم انصرف ، ويقول ابن قتيبة ان الأمر قد تمادي بينهما الى ان احتربا^(٣) ، وكثرت القتلى بينهما مما حمل الصحاكم بن عبد الله السلمي وهو صاحب أمر بني سليم الى أن يطلب اليهما الكف عن ذلك ، وان يحيطوا رحل هذه الطبيعة النداء ويصرخوا عن هذا الرأى الأعوج ولكنهما لجا وأبيا ثم انتهيا دريد بن الصمة ومالك بن عمرو النضرى رئيس هوزان

(١) ناد والنادى : الدهمية الشديدة .

(٢) حبة بطن واد : اي بداهية خبيث .

(٣) الشعر والشعراء ٦٣٢ بيروت .

وطلباً منها مثل ما طلب الفسحان فندم العباس وقال قصيده التي
طالعها :

ألم ترأني كرهت الحرب
واني ندمت على ما مخى
لتلك التي عمارها يتقى
ندامة زار على نفسه

فأجابه خفاف :

أعيناس اما كرهت الحرب
فقد ذقت من عذبها ما كفى
اللقيحت حسريا لها درة
زبوننا تسرعها باللثني
فلمسا ترقيت في غيمها
دحضنت وزل بك الرعنى
فلاسيحت تبكي على زلة
ومسادا يريد عليك البكاء
فان كنت اخطأت في حربنا
فلبسنا مقيليك ذاك الخطأ
وان كنت تطمع في سلامنا
فزاول ثبيبا وركتي حرا
وفي هذا الرد تتجلى منزلة خفاف ، ويتبين مرتكبه فهو رأس جماعة
تأثير بأمره ، وفارس قبيلة تسير وراءه ، وقد أظهر خفاف ضرباً من
هذه الشجاعة والدرامية بأسلوب الحرب والمعركة بمنونها في مواطن كثيرة
(انظر الأغاني ١٣٤ / ١٣٥ - ١٣٥ / ١٣٤) (سامي) وابن عبد ربه في العقد الفريد
(١٦٣ / ٥)

وعده الجاحظ والعباس بن مرداس وابن شداد وعنترة الفوارس
وأخاه هراسه وسليك بن السلكة ، اسد الرجال ، وأئدتهم قنوبا
وائجعهم بأسا وبهم يضرب المثل (راجع فخر السودان على البيضان)
إلى جانب العبارات التي أوردها القدامى في تأكيد هذه الفروسيّة
والشجاعة فقد نعته ابن دريد بأنه من فرسان العرب (ابن دريد
الاستيقان ص ٣٠٩) وقال عنه أيضاً بأنه أحد سودان العرب وفرسانها
ووصفه الآمدي بأنه فارس مشهور (المؤتلف والمختلف ١٥٤) .

ومن الطبيعي أن توضح لنا هذه الآراء بطولته وشجاعته وفروسيته
ومكانته وقدرته على تصدر هذا المركز الذي تبوأه ، لأن الفارس لا يمكن
هذا اللقب إلا بما يثبت به أنه أهل له وسط مجتمع تألفت فيه البطولات
وتتسابق فيه الفرسان ، وسادت فيه القوة ، وتحكم فيه السيف في كثير
من الأحيان .

اما مشاركته في الاحداث الاسلامية فهو صحابي جليل ، اسلم قبل الفتح وشهد مع النبي فتح مكة ومهما لواه بنى سليم وشهد موقعته حنين والطائف وثبت على اسلامه في الردة وعادى قومه وتبرأ منهم وقال :

لا دينكم ديني ولا أنا كافر حتى يزول الى الطرفة شمام
و مدح أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لأنه قاوم المرتدين وأعادهم
إلى جادة الإسلام وروى عن النبي عليه السلام بعض الأحاديث (انظر أسد
الغابة ١١٩ - ١١٨ / ٢ والاستيعاب ٤٥٠ / ٢ - ٤٥١)
وفي هذه الواقع تجلّى شخصية خلف الإسلام ، وبيرز صدق
عقيدته في الذود والدفاع عن المثل العليا التي جاء بها الإسلام .
و معظم شعره قاله في مهاجاته للعباس بن مرداس وفي الأغراض
الجهالية التي يسجل فيها تاريخ حياته وأخبار مغامراته وتعد مجالا
قصصيا يسطّ فيها مفاسد ومخالفات قومه وما ترثه وما ترثه ويطولها
ويطولها وقد تجلّت هذه الميزة في قصائد المختارة في الأسميات
ومنتهى الطلب :

اما قصائده المذكورة في الأغانى فتقسم بطابع المهاجاة التي يتضمن
فيها فن النقايس بأكمل أشكاله ، وأوضح صوره ، وتبدو معالمه التي
بني عليها هذا الفن ، إلى جانب جريانها في حدود قبيلة ملحوظة المكانة
من قيس عيلان ، وان عناصر هذه النقايس كانت في كثير من الأحيان ،
فضائل اجتماعية ، حتى اذا اشتد أوارها ، ودعت الى القتال ، وجدت
من يحد من سورتها ويكشف من غلوائها ثم عادت قوية ، وكانت في معظم
معاناتها وأشكالها تأخذ طريق قلب المعانى والموازنات والتكييف مع غلبة
الفاخر عليها .

وهي نقايس تستحق الدراسة المستفيضة لأنها توضح جوانب
عديدة من هذا الفن وتكشف عن التطور المتكامل الذي مارسها في مصر
الجهالى ومن هذا الفن قوله في العباس :
أرى العباس ينقص كل يوم ويزعم أنه جهلا يزيد
فلو نقضت عزائمك وبدأت سلامته لكان كما ي يريد

ولكن المعايب أفسدته
فنباس بن مرداس بن عمرو
وكتب الماء أصبح ما يغدو
حلفت برب مكة والملى
بأنك من موذننا قريب
وأنت من الذي تهوى بعيد
فأبشر أن بقيت بيوم سوء
يشبيب له من الخوف الوريد
كيومك اذ خرجت تتوق ركسا
وطار القلب وانتفع الوريد
فقد طال التهدد والوعيد
رأينا من نحاريه شقرا
ومن ذا يابني عوف سعيد

وقد أجاد خفاف عن الوصف لأنها شفف بالبادية ، وما فيها من
ظواهر مختلفة ، فوصف البرق والسماح والطير والرياح والسيل الذي
يستخرج الضباب والذئاب ، ووصف الفرس على عادة الفرسان بآيات
تعد في مقدمة أوصاف الشعراء لها ومن ذلك قوله :
بالضابط الضابط تقريري اذ ونت الخيل ذو الشاهد
 فهو يجанс بين الضابط والضابط ، وهذه المحسنات البديعية
ظاهرة في بقية شعره فتراه يجansk بين مطاعين ومطاعيم في قوله :
أبي الشتم أني سيد وابن سادة مطاعين في الهيجا مطاعيم للجرم

أما منافاته ومقابراته :

فقد افتخر بفروسيته ونجدته ، وفخر بالمرودة والمصبر والنجدة
وكرم النفس والكياسة وقيادة النفس وقيادة القوم . وممارسة الحروب
ومزاولة الأسفار وقطع الملاوز والمهامه ومطاردة بقر الوحش وحمره ،
وفخر بحمايته حقيقة قومه وادراكه الأبطال من خصومه ومن ذلك اللون
قوله :

فلئن صرت الحبل يا ابنة مالك والرأى فيه مخطىء ومصيبة

(١) زهيد وزاهر : لثيم . (٢) تهود : تنوب .
(١) يقال طار القلب : أي مال إلى جهة يهواها وتعلق بها والوريد
الذي في صنحة العنق ، يتنفس عند الفحب ويوصف بهذه الصفة من كثرة
غضبه وساعته أخلاقه .

فتعلمى انى امرؤ ذو مرة فيما ألم من الخطوب صليب^(١)
 ولدى من كيس الزمان نصيب^(٢) أدع الدناء لا ألابس أهلهـا

وتفزله :

يمشى فيه على طريقة القدماء كما قدمنا ولكن الصنعة تغلب على
 هذا الغزل لأنه كما ييدو غير صادر عن عاطفة حباشهـا وإنما يسلك فيها
 مسلك القدامى فيبدأ بحديثه عن الطيف ، ويصعب لمسراه وكيف جاز
 الوديان واستقر لدى وساده ثم يستعيد ذكرى صاحبته خلسة وبين
 لمحبيته مدى صبره على حقائقها ثم يذكر الشباب الزائل ويبكي على
 أيامه المنصرمه ومن هذا اللون قوله كما قدمنا : -

أمسى تذكر ريا أم هارون يا من لقلب شديد الهم محزون
 والدهر ذو غلظة حيناً وذو لين أمسى تذكرها من بعد ما شحطت
 فان يكن حبها أمسى لنا شجناً فان يكن حبها أمسى لنا شجناً
 وأصبح الرأى منها لا يواتيني فقد غيننا وشمل الدهر يجمعنـا
 أطعـي ريا وريا لا تعاصـينـي نرمـي الوشاـة فلا تخطـي مقاتـلـهم
 بصادقـ من صـفـاء الـود مـكتـونـ

أما رثاؤه :

فقد كان فيه صادق العاطفة يصدر عن قلب جبل على الحب وأنوثـاء
 والمرءـة .

وأشير مراشـيه تلك التي قالـها يرشـي الخليـفة الأول أبا بـكر الصـديـق
 رضـى الله عنه :

ليس لشيء غير تقـوى جـداء وكلـشيء عمرـه — للـفنـاء^(٣)
 عـارـية فالـشرط فيه الأـداء والـملك في الأـقوـام مـستـمـوعـ
 لم تـشـمل الأرضـن سـحـابـ ماـء انـ أـبا بـكرـ هوـ الغـيثـ اـذـ
 تـائـة لا يـسـدرـكـ ايـامـهـ

(١) الصليب ذو الصلابة يقال رجل صلب وصلب ، والمرة : القوة .

(٢) كيس الزمان : حنكـهـ وتجارـهـ .

(٣) الجـذا : الطـرـ العـام ، وغـيـثـ جـداـ لا يـعـرـفـ اـقصـاهـ ، والـجـداـ :

الـعـطـلـةـ وـقـيـ الحديثـ : اللـهـمـ اـسـقـنـاـ غـيـثـاـ غـدـقاـ وـجـداـ طـبـقاـ .

من يسمى كي يدرك أيامه
المرء يسمع وله راصد^(١)
تنذرء العين وثوب الفراء^(٢)
يشكوه سقم ليس فيه شفاء
ومن شعره الحكيم قوله :
إذا أنا وفاني حمامي ومضجمي
وسوى على جندل وكثير
فكل وفاء عند ذلك ميت
وقد جعله ابن سالم في الطبعة الخامسة من الفرسان وهو شاعر
مجيد لا يصل في شاعريته إلى الطبقة الأولى من الشعراء الكبار ،
ولا ينحدر إلى طبقة الشعراء المخمورين^(٣) .

(١) أى يجتهد وبلغ أقصى ما يمكن .

(٢) أى تنذر الراسد عينه أن يثبت على هذا المرصد ليختنه .

(٣) شعراً اسلاميون من ٤٤٥ .

عدى بن حاتم الطائي

هو عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحسرج بن امرىء القيس ابن عدى الطائى ولد الجواد المشهور أبو طريف ، أسلم سنة تسع وقيل سنة عشر وكان نصراطيا قبل ذلك ، وثبتت على اسلامه في الردة ، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر وشهد فتوح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع على كرم الله وجهه ومات بعد السنتين وقد أحسن وبلغ عشرين وعشرين سنة وقال أبو حاتم السجستاني بلغ مائة وثمانين قال ابن خليفة عن عدى بن حاتم ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وقال الشعبي عن عدى بن حاتم أتيت عمر في أناس من قومي فجعل يفرض للرجل ويعرض عنى فاستقبلته ، فقلت أتعرفنى قال نعم أمنت اذا كفروا وعرفت اذا نكروا وويفيت اذا غدوا وأقبلت اذا آذبوا ان أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله ﷺ كانت صدقة في طي (١) .

روى الامام أحمد في مسنده عن عدى بن حاتم قال : « فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي : يا عدى بن حاتم أسلم ثلثا قال : قلت انى على دين ، قال : أنا أعلم بدينك منه ، فقلت أنت أعلم بدين ؟ قال : نعم المتن من الدكوسية (٢) .

وأنت تأكل مرباع قومك ؟ قلت بلى قال فان هذا لا يحل لك في دينك قال : قلت نعم فلم يعد أن قالها فتواضعت لها ، قال أما انى أعلم الذى يمنعك من الاسلام ، تقول انا اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم ، وقد رأتمهم العرب .

أترى الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد سمعت بها قال فو الذى نفسى بيده ليتمكن الله هذا الأمر حتى تخرج الظمية (٣) من الحيرة حتى تطوف

(١) اخرجه احمد وابن سعد وبعضه في مسلم انظر الاصابة ج ٤ من ٢٢٩ .
(٢) دين بين النصارى والصابئين .
(٣) الظمية : المرأة .

بالبيت في غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز قال : قلت
كنوز كسرى بن هرمز ؟

قال نعم كسرى بن هرمز ولبيذن المال حتى لا يقبله أحد قال
عدى : بهذه الطفينة تخرج من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار ، ولقد
كنت فيما فتحت كنوز كسرى والذى نفسى لتكونن الثالثة لأن رسول الله
عليه السلام قد قالها قال عدى فأنسلمت فرأيت وجهه قد استبشر وقال « إن
المغضوب عليهم اليهود ، وان الفاسدين النصارى »^(١) .

ولقد أكرم الاسلام عدى بن حاتم خسطر التاريخ له صفحات من
نور ، وما كان عدى يدرى بعد هذا كله أنه تتبعه في مستقبل حياته
مهما جسام ، تتجاوز حدود طين ، وترك آثاراً وفتحوا فيما وراء
جزيرة العرب ، وما كان يعلم أن أخلاقه الكريمة ومعدنه الأصيل ستجد
في مبادئ الاسلام وواقع الحياة الاسلامية تربة صالحة فتتمو وترثى
وتشعر ، ويصبح عدى في طليعة المسلمين ومن خيارهم ، مسلماً تقىاً
وذكرىما نبيلاً وسيداً مطاعاً ، وجندياً مخلصاً شجاعاً في جهاد أداء الله ،
وبطلاً صنديداً في حروب الرادة يقاتل المرتدين حتى يعود الاسلام العظيم
قوياً كما كان ، متيناً في وجوه المرتدين والمرتدين ، ووقف بعقله الكبير ،
وأيمانه الراسخ في وجه قبيلته طيء حتى لا ترتد ، وتبين أن عدياً ليس
بالسابع الماير الذي يستطع أن ينقذ نفسه فحسب ، وإنما هو ربنا
ماهر يعرف كيف ينقذ قومه من الغرق ويحفظهم من العواصف والأهواء ،
ويوصلهم إلى شاطئ الطمأنينة والسلامة والاسلام ولولا حكمة عدى
وبراعته في سياسة قومه وغيرهم من قبائل العرب لارتدوا عن الاسلام
وكانت فرصة نادرة وذهبية لخالد بن الوليد أن يتعرف على قائد هذه حكيم
الله وهو عدى بن حاتم ليستعين به في فتوحاته المختلفة وليضمه في أول
مستشاريه وخبرائه العسكريين ، ويعتمد عليه في المهامات والتواكب بعد
أن تيقن منه السداد في الرأي ، والصلاحية في دين الله ، ومحبة قومه
وطاعتكم له وقد عرف عدى بدورة قائد المظفر خالد بن الوليد^(٢) وخبر

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ من ٢٥٤ .

(٢) نفس المصدر ٢٥٥ .

شجاعته في نصرة دين الله وانضوى تحت لوائه في حروب الردة وحروب فتوح الشام وال العراق روى الطبرى عن عدى بن حاتم قال : « بعثت إلى خالد بن الوليد أن يسر إلى فاقم عندى أياما حتى أبعث إلى قيائل طيين ، فأجتمع لك منهم أكثر من مائة ثم أصحبك إلى عدوك قال فسار إلى *

وروى الطبرى أيضاً عن سعد عن مجاهد أنه سمع أشياعاً من قومه (طيين) يقولون سألنا خالداً أن تكتفيه قيساً فان بني أسد حلفاؤنا فقال : والله ما قيس بأوهن الشوكين أصدعوا إلى أى القبيلتين أحببتم فقال عدى لو ترك هذا الدين أسرتني – الأدنى فالأدنى من قومي – لجاهدتهم عليه ، فانا امتنع عن جهاد بني أسد لحقهم ! لا لعم الله لا أفعل ! فقال له خالد : إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد ، لا تخالف رأى أصحابك وأمض إلى القوم الذين هم لقتالهم أشطر فله در عدى بن حاتم في هذه المواقف البطولية التي تؤكد أنه حقاً خير مولود ولد في أرض طيين وأظلمه على قومه والمسلمين جميعاً بركرة وتتبينا وكلما تقدمت به الشهور والسنوات وازدادت مسؤولياته في نصرة الحق في عقيدة وأيمان تأكيد في سمع الزمن ورسوخ في تاريخ الأمة الإسلامية أن أبا طريف الطائي من خيار الناس في الجاهلية والإسلام *

عدى الفاتح والفارس والشاعر

وكان حضور عدى بن حاتم ظاهر وبازرا في حروب الردة ، كان حضوره في الفتوحات الإسلامية مع قبيلته طيء ، كان ظاهرا وبازرا أيضا في السنة العاشرة للهجرة جهز أبو بكر جيشاً للم sis إلى العراق وكان لابد أن يختار لهذا الجيش الفوارس الصناديد الذين يحرزون له النصر ويسعون به إلى القتل فاختار عديا وبعض فرسان قومه للانخراط في هذا الجيش يقول الإمام الطبرى : « فرق خالد مخرج من اليمامة جنده ثلاثة فرق ولم يحملهم على طريق واحدة ، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر ، وسرح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو دليلاهما مالك بن عياد وسالم بن نصر أحداهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد دليله رافع ، فواعدتهم جميعا الح فى ليجتمعوا به ولি�صادموه به عدوهم . »

وف الطريق إلى الحيرة شهد عدى عدداً من المعارك والانتصارات التي أظهر فيها خالد بن الوليد عبرية فذة وبطولة نادرة وقيادة حكيمة وهناك عند قصور الحيرة رأى عدى بعيني رأسه تحقق المعجزة التي أخبر بها النبي عليه السلام بقوله : (لتختفن عليكم كنز كسرى بن هرمز) .

ثم اشتراك المثنى بن حاتم في الفتوحات فشهد معركة الجسر التي ابتدأ فيها المسلمون وسقط منهم أربعة آلاف شهيد ثم تتبعها المشاهد والفتح وتوجهت بانتصار القدسية والمدائين كما شهد عدى فتح جلولاً الواقعة في ذي القعدة سنة ست عشرة ، وقتل الله يومئذ من الفرس مائة ألف وغنم المسلمين أموالاً عظيمة وفي نهاية السنة السابعة عشرة اختطف سعد الكوفة ، وكان عدى من سكتها وارتبط مشاهده بفتحاتها وأحداثها وكانت معركة نهاوند خاتمة جهاده وكفاحه التي شهدها عدى أميراً بلا منازع على فرسان قومه طيء ورجالاتهم .

وفي هامش كتاب (المuron) لأبي حاتم السجستاني « وما غلب المختار بن أبي عبد على الكوفة وقع بينهما تساكراً فهم عدى بالخروج عليه ثم عجز لكبر سنه وكان قد بلغ مائة وعشرين عاماً » وقال في ذلك :

أصبحت لا أتفع الصديق ولا أملك خيرا للشانىء الشرس
وان جرى بي الجواد منطلقا لا يملك الكف رجمة الفرس^(١)
ولكن أبا حاتم السجستاني رجم وقال وعاش عدى بن حاتم
مائة وثمانين سنة فلما اسن استاذن قومه في وطاء يجلس عليه في
ناديهم وقال : انى أكره أن يظن أحدكم انى أرى عليه فضلا ، ولكنى
كبرت ورق عظمي فقالوا نظر فلما أبظوا قال :
أجيروا يا بني شمل بن عمرو ولا تخروا الجواب من الحياة
فانى قد كبرت ورق عظمي وقل اللحم من بعد النقاء
وأصبحت الغذا اريد شيئا يقيني الأرض من برد الشتاء
وطاء يا بني شمل بن عمرو وليس لشيخكم غير الوطاء
فإن ترضوا به فسرور راض وان تأبوا فانى ذو اباء
سأترك ما أردد لما أرددتم ورددك من عصاك من الغباء
لأنى من مسامعكم بعيد كبعد الأرض من جو السماء
وأنى لا أكون بمغير قومي فليس الدليل الا بالرأسم
فأذنوا له أن يبيسط في ناديهم وطلب به أنفسهم ، وقالوا أنت
شيخنا وسيدنا وابن سيدنا وما فينا أحد يكره ذلك ولا يدفعه^(٢) .
وقيل أن نختتم حياة عدى الباركة نذكر طرقا من مآثره الخالدة
التي حق للتاريخ أن يكتبها بمداد من نور .
فمن عبادته وتقواه ما أخرجه ابن عساكر عن عدى بن حاتم رضى
الله عنه قال : ما جاء وقت الصلاة الا وقد أخذت لها أحبتها ، وما جاءت
الا وأنا إليها بالأسواق^(٣) الحديث .
ومن كرمه وجوده ، استعاره بعض أشراف الكوفة من عدى قدوره
لوليمة له فنحر الجزر وملاها ، ثم حملت إلى المستعر بالدهوق مملوءة
وقال هكذا نعي قدورنا^(٤) .
وقيل له في جاهليته مالك لا تشرب الخمر قال : لا أشرب ما يشرب

(١) الطبرى : ٣ : ٢٤٨ .

(٢) المعرون من ٤٧ .

(٣) نفس المصدر ٤٦ — ٤٧ .

(٤) حياة الصحابة من ٢٤٥ ج ٢ المجد لابن حبيب من ١٥٦ .

عقلى ويقل له في جاهليته أيضاً مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أن أصبح حليماً قومي وأمسى سفيههم ومن أجبوته المسكتة انه دخل على معاوية وعنه عبد الله بن الزبير فقال ابن الزبير يا أمير المؤمنين هجه فان عنده جواباً فقال معاوية أما أنا فلا ، ولكن دونك ان شئت ، فقال له ابن الزبير أى يوم فقلت عينك يا عدى ؟ قال في اليوم الذي قتل فيه أبوك مدبراً وضربت على قفالك مولياً فاصحمه^(١) .

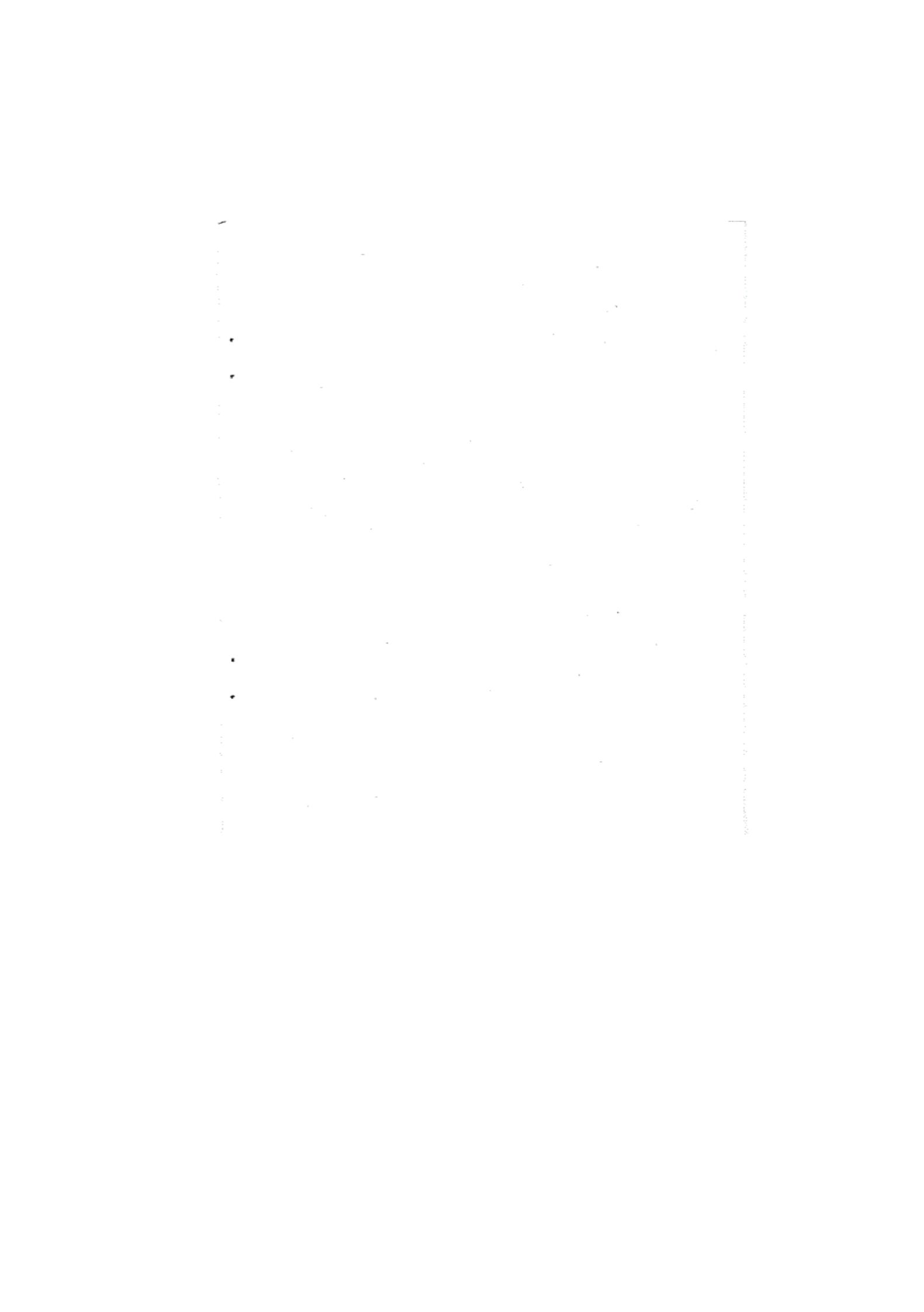
وأتي سالم بن دارة عدى بن حاتم فقال له قد مدحتك فقال له أمسك عليك حتى أنيئك ما لى فتمدحني على حسبه ، لى ألف ضائعة ، وألفاً درهم ، وثلاثة أبْعَدْ وفرسي هذا حبيس في سبيل الله فقال : تحن قلوصي في معد وانما تلاقي الربيع في ديار بني ثمبل وأبقى الليالي من عدى بن حاتم حساماً كلون الملح سل من الحلل أبوك جواد ما يشق غباره وأنت جواد ما تقدر بالعمل فان تقدروا شراً فمثلكم انتي وان تفعلوا خيراً فمثلكم فعل فقال له عدى : أمسك عليك لا يبلغ مالى أكثر من هذا ، وشاطره ماله^(٢) .

(١) مجمع الاستئناف للميداني ٢٢٥/٢

(٢) الشعر والشعراء من ٣٦٦ وانظر عدى بن حاتم من ١٢٣ .

الفصل الثالث

شعراء آخرون



النحو من تولب

هو النمر بن تولب بن زهير ، وتجمع المصادر على أنه أحد أجواد العرب ، وفرسانهم المشهورين وقد عرف عنه بأنه كان واسع القرى ، كثير الأضياف وهاباً للآله ، لا يحبس شيئاً منه ، وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه شعره بشعر حاتم الطائji وقد رويت عن بذلك بعض الأخبار فقد ذكر أبو الفرج أن النمر بن تولب بعد ما كبر ، خرج في ابله فسألة سائل فما خطأه فقلل ابله ، فلما رجمت الأبل اذا فحتموا ليس فيها ، فهتفت به ام ائمه ، مذلتته ، ومقالات فعلاً غير حمل املك فقال لها⁽¹⁾ :

دعيتی وامری ساکنیکه
فانک لئن ترشیدی غادیا
وقال آیضا ف عذلها ایاه :

ويتضح التشابه بين شعره وشعر حاتم في بعض قصائده التي
قالها وهو يلوم عاذلته :

اعاذل ان يصبح صدای بقفرة
ترى أن ما ابقيت لم أك ربه
وذى ابل يسمى ويحسمها له
عدت وخذ رب سواه يسوقها
والاگبيات في روحها ومعاناتها
وفكرتها تقرب من روح حاتم ومعاناته
وفكرته ، و اذا قارنا هذه الگبيات بآيات حاتم التي يقول فيها :

¹¹⁾ في المراجع : الاعانى ١٥٨/١٩ .

وجدنا أن التقارب بين الأفكار واضح ، وأن أصلة الكرم التي ينبع منها النمر في المطاء والسخاء تكاد تكون قريبة من الروح السخية التي اندفع منها حاتم وقد ارسمت عند كلّيما معلم الآثار ، فلم تستبعدهما المادة ، وإن كل واحد منها يرى أن الحياة بذل وعطاء وإن المال خلق لاكتساب الثناء والذكر الحميد ، ومن هنا كان المال عند النمر وسيلة لا غاية فهو يوظفه للبذل والعطاء لأن العيش في نظره قصير ، والحياة فانية ، وغير ما يتركه الإنسان على الأرض ذكر طيب ، وثناء يردد الناس في كل مكان وقد صارت هذه المعاني الرفيعة تتسم في قصائده حتى أصبحت أصلا من أصول شعره واتجاهها يارزا من اتجاهاته المتميزة ، فإذا عانته زوجته على كرمه ولامته على بذله وعطائه أجابها : لا تجزعى أن منقساً أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعني فإذا أثأني أخواتي فدعهم يتخلوا في العيش أو يلعوا معى لا تطرديهم عن فراشى أنه لابد يوماً أن سيخلو مضمونى أن هذه الأفكار التي لمحت في قصائده وأبياته كانت صورة حية لنفسه الكريمة ، وخلقه السخي وايمانه الثابت ببقاء العمل الخالد .

ولم يكن الكرم وحده الصفة البارزة في حياة هذا الرجل وإنما هناك مجموعة وفيرة من الصفات يستطيع المتتبع لشعره أن يستقرئها ، وهي على الغالب صفات حميدة ، وخصال رفيعة ، تدل على نفس ظاهرة وقلب سليم يسعى إلى المكارم ويتحلى بالخلق الرفيع فهو لا يخون ابن عمه في حليته وهو يحرض أن يمضى للاقاة ربه نقياً لا يدنسه عار :

لا يعلم اللامعات اللامحات ضحي ما تحتكشح ولا يعلمن أسرارى ولا أخون ابن عمى في حليته ولا البعيد نوى عن ولا جاري حتى يقال اذا وربت في جدشى لقد مضى نمر عار من العمار وهو فارس يعتز بسيفه وفرسه (صمهى) وبيالع فى وصفها ، ويفرط فى وصف سيفه افراطاً يعاب عليه الغلو :

أبقى الحوادث والأيام من نمر أسياد سيف قديم اثره بادى تظلل تحفر عنه ان ضربت به بعد الذراعين والساقيين والهادى

وهو بطل يقتفي آثار الخصوم ويشهد المارك ويثبت يوم الجلاد :
سمنونا ليشترى يوم النهاية نهز قناديل سمنونا طسوالا
فلما التقينا وكان الجلاد أحبوا الحياة فولوا أشلالا
إلى غير ذلك من الأغراض الشعرية التي شارك فيها شاعرنا التمر بن
تولب ، وهي تمثل السمات البارزة في شعره ، وهي في الغالب صورة
ترتكب في نفس القارئ احساساً مشرقاً من الخلق النبيل الذي تمثل
في حياته وهي صور يتخللها الإيمان بمحارم الأخلاق والدعوة إلى
القيم النبيلة .

شعره :

يعد شعر التمر - صورة صادقة لحياته ونفسه وظروفه وهو على
قلته يرسم الصورة الطبيعية له ، وقد برزت خلال قصائده مجموعة من
الظواهر يمكن الاهتمام بها للتوضيح الجوانب الغامضة التي اكتفت
حياته ، على أنها تستطيع أن تثبت بعض الحقائق التي لمسناها من خلال
قصائده التي وصلت إلينا .

فالتمر لم يكن من الشعراء الذين سخروا شعرهم للتكسب ولم
يقل في المدح إلا قصيدة واحدة يمدح بها الرسول الكريم عليه السلام أما الهجاء
فلم يجد في شعره طريقاً للظهور ، وهي ميزة ترسم لنا نفس الرجل التي
وطنت للخير ، وجعلت على حب الفراق الرفيع ، بعد أن ابتعدت عن كل
ما يدفعها إلى الذلة ويجعلها على الخضوع ، ويبدو أن الشخصيات النفسية
التي اتسم بها الشاعر هي التي حددت له المعلم البارزة لهذا السلوك
الشعري وهي التي رسمت له الطريق للاغراض الشعرية أو الاتجاهات
الشعرية .

وقد التزم التمر في بعض قصائده طريق القدامي في بناء القصيدة
من حيث المضمون والشكل فهو يقتفي آثارهم في البناء التقليدي - كما
قدمنا - فيقف في الوضع الذي وقفوا فيه ، ويستجيب للظاهرة التي
تؤثر فيه ، ويشبه في الأماكن التي شبه بها القدامي ، ولكن تقليده أخف
واستجابته أوجز وتشبيهه أقصر ، أما من حيث المضمون ف شأنه شأن

الشاعر القديم الذي سجل في شعره ظواهر الحياة ولواجع النفس ومتاعب الدهر ، إلى جانب التصوير الذاتي للأبعاد الأخلاقية المتعلقة به تعلقاً بحنا ، وهي ظاهرة فردية بارزة ، تبعد النور عن الشعراء الآخرين الذين ذابوا في قبائلهم ، واندمجوا فيها اندماجاً كلياً ، ومن هذه الروايا تنفس أهمية شعره في تقرير الطواهر الشعرية التي سادت الأدب العربي وأصبحت في عرف الدارسين حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل والنقاش ، وتمثل المسانى التي تطرق إليها في حياة حافلة بضروب المعرف ، وقد أليس هذه المسانى الفاظاً جميلة تتصرف بالصرامة ، كما تنقسم بالصدق وتنشح بوشاح خلقى رغيب غلبت على شعره .
وان شعره يمثل اتجاهها اخلاقياً متميزاً قد أن تجد له نظيراً في الشعر العربي فهو يكره الكذب ويتألم منه وهذا ما حمله على مخاطبة زوجته بعد أن تركته وانصرفت إلى منزل بعلها :

جزى الله هنا جمرة ابنة نوفل جزاء مفل بالأمانة كاذب
وهو يدعو الناس إلى الكسب والسعى وينهفهم عن القعود
والتخاذل ، لأن في ذلك مدعاة للمذلة واستهانة بالقيم التي يعتز بها
المرء الكريم :

خاطر بنفسك كي تصيب كريمة ان الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه تجلة ومهابة والفقير فيه مذلة وقبوح
ان المخاطر مالك أو هالك والجد يجدى مرة فريج
وهو يعالج المشاكل التي ألمت بالناس ويشير إلى القيم الجديدة
التي استحدثت فيقول :

أرى الناس قد أحثوا شسيمة وفي كل حادثة يؤتمر
يعينون من حقرروا سبيه وإن كان فيهم يشي - وبر
ـ وهو رجل مجريب لا يأمن الأيام لأن المضل وحده هو الذي يأمن
ـ شرها :

فحبيت من شحط فخير حديثنا ولا يامن الأيام الا مضل
ـ أما أيامه بالقدر والموت فقد صرخ به أكثر من مرة :
ـ فان المنية من يخشىها فسوف تصادفه - أينما

ويقول في مقام آخر : -

واعلم أن ستدركنى المنسايا
فإن لا أتبعد ما تتعنى
رأيت المانع المال يوماً مصيريهم لالقاء — مدفن^(١)
وان كثيراً من المعانى الحضارية التي عرفت عند سكان المدن قد
وجدت في شعره ، وإن مشاهدته للرسول الكريم قد تركت في نفسه أثراً
بارزاً ، ويبدو أن هذا الاتجاه كان مهيئاً عند الشاعر لما لمسه في شعره من
بعد عن المعانى الجاهلية وأصطباغ شعره بالصيغة التي ينادي بها
الإسلام حتى قبل اسلامه ، فقد ذكر التعالى^(٢) أن النور بن تولب
وحميد بن ثور والتابة الجمدى اجتمعوا في الجاهلية على معنى قول
النبي ﷺ : « كفى بالسالم داء » فتناهبو بحسن الفاظهم وكائنا رموا
بتقوس واحدة فقال النور :

يود الفتى طول السلامه جاهداً فكيف نرى طول السلامه يفعل

وقال حميد : أرى يصرى قد رأبى بعد صحة وحسيك داء أن تصح وتسلماً

وقال الجمدى : ودعوت ربى بالسلامه جاهداً ليصححني فإذا السلامه داء

وفي أبياته التي يلوم فيها العاذل أو العاذلة لأنها تعاتبه على الانفاق

و يتلوه على المطاء :
أعاذل ان يصبح صدای بقفرة بعيذا نانى صاحبى وقربى
ترى ان ما أبقيت لهم ألا ربيه وان الذى امضيت كان نصيفين
نرى في ذلك شيئاً كبيراً يقول الرسول الكريم ﷺ : ويقول
ابن آدم مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنت أو ليس
فأبليت ، أو أعطيت فأختبئت .

ومما يثير الانتباه أيضاً في شعره كثرة استخدامه للأمثال ،
 واستشهاده بحوادث التاريخ لتوضيح الأفكار التي يسعى إليها ، وهي
صفة تكشف عن ثقافة الشاعر واستيعابه للأحوال ومعرفته بأمور

التاريخ *

(١) انظر شعر هذيل عليه نبذة كبيرة .

(٢) التعالى خاص الخاص / ١٠١ .

منزلة الشعرية :

للنمر بن تولب منزلة شعرية كبيرة أهلته أن يكون شاعر الرياب في الجاهلية (راجح ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٥٣٣ و البغدادي في الخزنة ١/١٥٣) وحملت أبي عمرو بن العلاء على تسميتها بالكيس لجودة شعره وكثرة أمثاله (انظر ابن سلام الطبقات ١٣٤ و ابن قتيبة الشعري والشعراء ٢٢٧ وشرح شواهد المغني للسيوطى ١٨١) وقد أجمع المؤرخون على أنه كان شاعرا فصيحا جريئا على المنطق ، وكان كثيرا البيت السائر والبيت المتمثل به (أبو الفرج الأفغاني ١٩/١٦٠) وقد وضعه ابن سلام في الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية وهم أربعة فقط عمرو بن قتيبة ، والنمر بن تولب ، وأوس بن غفار ، وعوف بن عطية وهذه أبو زيد القرشي من الطبقة الثانية (أصحاب المجرمات) .

ان هذه الاشارات النقدية البسيطة التي أوردها القدامى - توضح المنزلة الشعرية التي كان يتمتع بها الشاعر إلى جانب قدراته الفنية الرفيعة المتمثلة في تجويده في النظم وحسن تعبيره الذي كان يلائم بين اللفظ والمعنى وفي سلامه التركيب لغويانا ونحويا .

وقد حملت هذه الخصائص كثيرة من اللغويين وأصحاب الماجمיע والبلدانين والمفسرين على الاستشهاد بشعره ، لقيمه اللغوية ، والأدبية والجغرافية وقد ساهمت هذه الكتب في حفظ شعره ولو لاها لضاع الكثير مما تبقى لدينا من شعره^(١) .

(١) ابن سلام فحول الشعراء / ١٣٣ .

أبو زيد الطائى

هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظة بن التعمان بن حية بن سمنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن هنيء بن عمرو بن الفوთ بن طيء بن أدد المشهور بابو زيد الطائى ويتصد نسبه بيعرب ابن قحطان ، وأبوا زيد شاعر مسلم كبير ، وان كانت بعض المصادر القديمة تذهب الى أن أبا زيد كان نصريانيا ، وأدرك الاسلام ولم يسلم^(١) .

ولكن الذى يقرأ شعر الشاعر ، ويتابع الأغراض التى نظم فيها بعض قصائده يجدها مغايرة لما عرف عن دينه وتبعد له صورة هذا الشاعر وكأنه من أشد المسلمين اسلاما وأكثرهم دفاعا عنه وعن حلفائه فهو يرشى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه رثاء لم نجد له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين رشوه لصدق عاطفته وتاثيره :

على جنابيه من مظلومة قيم تبادرتها مساح بالمناسيف^(٢)
لها سواهل فى صم السلام كما صاح القسيط فى أيدي الصياريف^(٣)
كانون بآيدي القوم فى كبد طير تكشف عن جون مزاحيف^(٤)
وأبوا زيد يرشى الامام عليا رضى الله عنه رثاء لم نجد له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين رشوه لصدق عاطفته وتاثيره لمصرعه وتقرأ فيما حول الفاجعة التى أصابت المسلمين :

ان الكرام على ما كان من خلق رهط أمرى خاره^(٥) للدين مختار

(١) الشعر والشعراء / ٢٢٠/١ والأغانى ١١/٢٢ و تاريخ ابن عساكر ٤٠٩ / والإرشاد لياقوت ٤/١٠٧ .

(٢) جنابيه : جنابيه ، مظلومة : ارض حررت ولم تحرر قبل ، غيم : جمع تابة من التراب ، والمسحاء : ما سمي به كال مجرنة ، الا أنها من حديد والجعف المساحي .

(٣) السواحل : جمع المساحلة مصدر على فاعله بمعنى المصهل وهو المصوت او الممساحي اصول ادا وقعت في الحجارة وهي السلام بكسر السين كاسوات الدراهم الثالثة .

(٤) في كبد : في شدة الابيل المزاحيف : العيبة وابها جعلها جونا لأنهم حذروا له الحرة ، فأشبه الحرة بابل سود بشبه اختلاف المساحي فوق رؤوس الحفارين ياجنحة الطير .

(٥) خاره : اخفلره .

طب بصير بأضغان الرجال ولم يعدل بحبر رسول الله أخبار^(١)
وقطرة قطرت اذ حان موعدها وكل شيء له وقت ومقتدار
حتى تتصلها في مسجد طهر على امام هدى ان عشر جاروا^(٢)
حمت ليدخل جنات أبو حسن وأوجبت بعده للقاتل النار^(٣)

وكل الدلالات الواضحة تؤيد انه لم يكن مسلما فحسب بل كان
من أشد المسلمين إسلاما ، لاستعماله الالتفاظ والمصطلحات الإسلامية
في شعره . وذوده عن الاسلام وال المسلمين غضلا عن أنه كان قد أوصى
بأن يدفن إلى جوار الوليد بن عقبة ، ونحن نعلم أن مقابر المسلمين
لا يدفن فيها الا المسلمين بالإضافة إلى قتاله إلى جانب المسلمين يوم
الحسر حمية للمسلمين وهذا ما حمل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي
الله عنه) على أن يستعمله على صدقات ثقمه وان يقربه ، ولا ننسى
ان سيدنا عثمان بن عفان كان يقربه من مجلسه وينزله متزاً كريماً وانه
صاحب الوليد بن عقبة مصاحبة طويلة^(٤) .

وتعد أشارة الطبرى التي أغلقتها المؤرخون الذين كتبوا عنه بعد
الطبرى من أوضح الدلالات على اسلامه ، فهو يذكر أن أبي زيد كان
في الجاهلية والاسلام في بنى تغلب حتى أسلم ثم يقول وكان أبو زيد
يائى الوليد بالجزيره والمدينه فلم يزل الوليد به حتى أسلم في آخر
امارة الوليد وحسن اسلامه ويفيد ابن الأثير هذه الرواية فيقول :
وكان أبو زيد الشاعر في الجاهلية والاسلام في بنى تغلب وكان أخوه
ظلمه دينا - فأخذ الوليد حقه اذ كان عاملا عليهم ، فشكراً أبو زيد
ذلك له ، وانقطع اليه ، وغشيه بالمدينه والكوفه ، وكان نصراً فاسلام

(١) بصير بأضغان الرجال : خير باسرا رها ، والخير : العالم .

(٢) تتصلها : يريد استخراجها : حيث : قدرت وبروى ان عليا
رضي الله عنه من يبيهودى يسأل مسلماً قتال له على : اسألني ودع الرجل ،
مقتال له يا امير المؤمنين انت حير ؟ اي عالم قال على ان تسأل عالماً اخرى
لك اه .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسول والملوك ٢٨٤٢/٥ وانظر شعراء
الإسلاميون ٥٦٨ .

(٤) الكامل لابن الأثير ٤٣/٣ .

عند الوليد وحسن إسلامه^(١) وليس في شعره ما يؤيد نصراناته كما هو الحال عند الشعراء الذين عرّفوا بنصراناتهم .

أغراض شعره :

إذا قرأنا شعر أبي زبيد شاهدناه يتناول أغراضًا مختلفة في شعره فقد قال الشعر مادحًا وأبو زبيد إذا مدح فانه لا يمدح ليكتسب مالاً أو عقاراً ، أو ليبلغ منزلة كبيرة في قلب المدح وانما يمدح لزيادته حقاً واجباً ، أو ليثنى على صفة انسانية أثرت فيه وأثارت شاعرينه ، فهو يرشى الخليفة عثمان بن عفان مادحاً خصاله ويرشى الخليفة الراشد على بن أبي طالب كرم الله وجهه لأنهما قتلا قتلة لا تثني بمقامهما ، قتلا والدولة الإسلامية بأمس الحاجة إلى رجال مخلصين للدعوة ، حريصين على الإسلام ، محافظين على اصلة الدعوة الإسلامية التي جاء بها الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم وهو يرشى ابن أخيه اللجاج ، ويرشى صاحبها علم بموته ويرشى عبد الله بن عمرو الخطاب يرشى هؤلاء جمِيعاً فيذكر على الصفات الإنسانية الفاضلة فيهم، ويذكر صفات النبل والروعة والحمية ونصر المظلوم والأخذ بيد الفسيف كل هذا في أسلوب يأخذ بالآليات ويستولي على الأفمشة . كما اشتهر أبو زبيد بفن الوصف يقرب فيه ويبعد وأجل ما قاله في وصف الأسد ، وكان مغرى بهذا الوصف بعبارات مهولة ، ترعب السامع ، وتدخل الرعب واللعنة في نفسه ، حتى كأنه يشاهد الأسد في تصوره وهذا ما حمل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أن يلتفت إليه في مجلسه ، ويطلب منه أن يسمعه بعض قوله لأنه يجيد وصفه^(٢) وعندما ينهى وصفه يقول له : أسكط قطع الله لسانك ، فقد رعبت قلوب المسلمين ، وقد بلغ في وصفه حداً جعل قومه يلومونه على كثرة هذا الوصف وقالوا قد خفتنا أن تسينا العرب بوصفك له ، قال :

لو رأيتم منه ما رأيت أو لقيتم منه ما لقى أكدر لا لمتمنى ثم
أمسك عن وصفه فلم يصفه حتى مات .

(١) طبقات محو الشعرا لابن سلام من ٥٠٥ .

وتعد صور الأسد عند أبي زيد من الصور الأولى التي وصف بها وصفا يدل على رؤية حقيقة ، وإن كان عروة بن الورد قد تعرض له بالوصف الدقيق المفصل الذي لا ينتهي إلا أن اتصل به اتصالا قريبا في شعره يصفه بأنه عريض الصدر ، رابض فوق أوجهه ، يتسلط قصبهما فوق ظهره ، أما زئيره فيشبه صوت الرعد ، إلا أن أبي زيد وصف أعضاء ودقق في أجزاءه وقارن بينها وبين الصور المادية التي كانت تحيط به فاتخذ منها أوجه شبه وضح فيها الصور وجسد الأبعاد ، ولون الزوايا ومن هنا كان من أووصف الشعراه للأسد ، لأن رأه عن قرب ، وتأمل حركاته وأدرك ما يصيغه وهو يهم بالهجوم ، ويترصد الفريسة وأحسن بزمجرته المزعجة ، وبرائته الخشنة المليئة ، ومخالبها المقوفة الرأس ، وهذا ما جعل وصفه أدق حتى عد من أوائل الشعراء الذين عنا بوصف الأسد ، وخصصوا جزءا كبيرا من أوصافهم له .

يقول في ذلك :

ومن فلائل هام القوم محنتنا بمستحبى من أمين الجلد اتعابا (١)

ومن سرآييل أهباب مضرجة بمساكك من دم الأجوافقدر ابا (٢)

كان أثواب نقاد قدرن له يعلو بحملتها كهباء هدايا (٣)

كانما كان تائيم لياتيم في كل أبعاده يدنو تقرابا (٤)

(١) الفلائل : واحدتها قليلة ، وهي الخصلة من الشعر ، بمستحبى :
أى بمقشور من الجلد تشر بتطلب وهو يتعل من سحوات القرطاسى أى
قشرته .

(٢) أهباب : خلائق من الثياب ، الصنائع الذى له ريح ،
راب أى غلط كى يروي الدين .

(٣) النقاد : صاحب النقد وهو الفغم الصغار تقدن طعن عليه
وجعلن على قدر جسمه شبه جلد الأسد وشعره المتلأل بالقطنية التي
على الرامي ، الكهباء : - التي تضرب إلى الفبرة .

(٤) التائيم : الدمام يقول كان زجرهم ابا .

انما كان لياتيم يسلمه حين زجره القوم .

وثار اعصار هيجا بينهم وجروا
يضىء محرابهم جمرا وأخطابا^(١)
فـالغيل فـيناعم البردى محرابا^(٢)
سبارم ليس في الظلاماء هيابا^(٣)
مقابل الخطوط في أرساغه فـدع
يفوت فيها لـحام القوم شـيعته
وردين قد آزرا حصـاء مـسـقاـبا^(٤)

ميزات شعره :

ولقد تميز أبد زبيد عن الشعراء الآخرين بـما يـشارـتـهـ المـوضـوعـ
الـذـىـ يـرـيدـ مـعـالـجـتـهـ منـ أـوـلـ بـيـتـ فـقـصـيـدـةـ وـهـوـ لاـ يـعـدـ إـلـىـ خـلـقـ الـجـوـ
الـشـعـرـىـ الـنـاسـبـ ،ـ وـلـمـ يـخـلـقـ الـجـسـرـ الـذـىـ يـنـتـقـلـ بـوـاسـطـتـهـ إـلـىـ الـهـدـفـ
الـذـىـ حـمـلـهـ عـلـىـ نـظـمـ الـقـصـيـدـةـ ،ـ فـقـىـ قـصـيـدـةـ الـتـىـ قـالـهـ بـسـبـبـ الـكـاءـ
يـقـولـ فـيـ مـطـلـمـهـ :

خبرـتـناـ الرـكـيـبـانـ أـنـ قـدـ فـخـرـتـمـ
وـفـرـحـتـسـمـ بـضـرـبـهـ الـكـاءـ
وـقـيـدـتـهـ الـتـىـ قـالـهـ فـيـ غـلـامـهـ :ـ
ـ هـلـ كـنـتـ فـيـ مـنـظـرـ وـمـسـتـعـمـ
ـ وـقـرـيـشـتـهـ الـتـىـ رـشـىـ فـيـهاـ الـلـجـاجـ
ـ وـقـدـ طـولـ الـحـيـاةـ غـيرـ سـعـودـ
ـ وـضـلـالـ تـأـمـيلـ ثـيـلـ الـخـلـودـ
ـ غـرـضاـ لـمـنـونـ نـصـبـ الـعـودـ^(٥)
ـ عـلـلـ الـمـرـءـ بـالـرـجـاءـ وـيـضـحـيـ
ـ كـلـ يـوـمـ تـرـمـيـهـ مـنـهـ بـرـشـقـ
ـ مـنـ حـيـمـ يـنـسـيـ الـحـيـاءـ جـلـيدـ الـقوـ
ـ

(١) هذا مثل ، يزيد بالجملة نار الحرب بينهم والحراث ما حرك به

انوار اي سلاحهم يستثير نار الحرب .

(٢) جعل الشيء واجتعله كلها : ومنه المحراب : جعل المحراب

كالمجلس .

(٣) المدع : عوج وميل في المقاصل كلها خلقة او داء ، القبارم

والضبارمة : الأسد الوثيق الجريء على الاعداء .

(٤) الحصاء : السنة المجدية وقتل الحصان ان ينكسر الشعور

ويقتصر فقال لـحـيـهـ حـصـاءـ وـرـجـلـ اـحـمـيـ ،ـ لـحـمـ الـقـوـمـ يـلـحـمـهـ :ـ اـطـعـمـ الـلـحـمـ

ـ وـلـحـامـ جـمـعـ لـحـمـ اـهـ .

ـ اـنـظـرـ شـعـراءـ اـسـلـاـمـيـوـنـ ٥٧٢ـ ٥٧٢ـ .

(٥) اي منصوبا مثل الهدف .

(٦) الرشق : الوجه من الرمي اذا رموا بالجمجمة وجهما بـجـمـعـ

ـ سـهـامـهـ فـيـ جـهـةـ وـاحـدـةـ .ـ يـقالـ قـدـ صـافـ السـهـامـ يـصـيـفـ وـصـافـ .ـ يـصـيـفـ

ـ اـذـاـ عـدـلـ عـنـ الـهـدـفـ .ـ

أما المعانى التى يختارها ، والكلفاظ التى يستعملها فهى متاثرة إلى حد بعيد بالكلفاظ الإسلامية التى كان يتناولها الشعراء المسلمين فى تلك الفترة فهو يذكر التقى ، وحق الوفاء ، ودفع الأسى بحسن العزاء ، ونبيل الخلود والاعتماد على الله في الرزق والإيمان بالقضاء والقدر وان الاشياء لها اوقات ومقادير – وذكر الجننة والنار ، وغير ذلك من الكلفاظ المنتشرة في شعره الى جانب قدرته في اختيار الكلفاظ الخالية من تنافس الحروف ، والبعيدة عن الغرابة ، ولا بد أن تكون البيئة التي نشأ فيها والأماكن المتحضرة التي زارها أثر واضح في هذا الاتجاه الذى لم يسلكه الا الشعراء الذين عاشوا في جو متحضر وابتدعوا عن البيئة الصحراوية التي كانت تفرض على شعرائها الكلفاظ ممينة ومحظوظة ، وصورة شعرية معروفة لتصبح عندهم مقبولة مستساغة أما الأوزان الشعرية التي غلت على شعره فهى تدل على أنه قد تأثر بمدرسة شعرية باللغة التطهور ومتميزة عن غيرها بتنوع الأوزان والتعابير – ويتجلى هذا التطور في فروعه إلى استعمال بحر الخيف الذى نظم به ثلث شعره ، ولم يستعمل هذا البحر عند سائر الشعراء الا على نحو عارض^(١) .

ويجنب أبو زيد في وسائله التعبيرية في بعض الأحيان إلى الاكتئاف من المبالغة في استخدام التشبيهات والاستعارات والكتابيات إلى جانب استخدامه بعض المحسنات البديعية ، والخيال يشمل جانباً مهماً من جوانب شعره وخاصة الوصفى .

وهو يستعير اللثم لكت الدهر :

كل عام يلعن قوماً يكت الدهر حماً وأخذ حى حرید^(٢)

كما يستعير حبل العادية المدود لسير الليل والاستقامة فيه

كتقوله :

(١) راجع دراسات في الأدب العربي لعز بنابو ٢٦٦

(٢) حى حرید : منفرد معزول عن جماعة القبيلة .

ناط أمر الصعاف واجتعل الليل كحبال العادية المدود^(١)
ويكتى عن الكريم بمطير اليدين .
ويشيه شعر الأسد الذي يعلو كاهله بثياب المزقة كما يشبه
ما تنفس من جلد الأسد فوق حلقه ولهاه بمعار الرمل المتاثر الواسع
 وأنباب الأسد الحداد اذا قلس أشداقه بالحناجر :

يقول في الأسد :
له زبر كاللبد طارت رغابلا وكتنان كالشرخين عبل مضرير
كان غضونا من لهاء وحلقه مفار هيام عدمى منهور
يعد منه ذو الحفاظ مدججا ويتحقق منه الأحمرى المدور
وحبيبمشق الشدق أخفف ضيقهم له لحظات مشقات ومحجر
والحسنات اللطفية شائعة في شعره ، فهو يطابق في بيت واحد
بين القياء والعجزاء والمقبلة والمدبرة في قصيدة الغزلية الرائعة
التي أجاد وصف المرأة فيها ، فهي ترتو بعين غزال وأنها مجدهلة
ليست مترهلة أو سميكة أو مسترخيه اللحم مع برد في الأسنان
وعذوبة في الريق وأيتها نعمت البطنانة في اليوم البارد الطير :
نعمت بطانة يوم الدجن يجعلها دون الثياب وقد سرت اثوابا
قراب حضنك لا يذكر ولا نصف توليك كشحا لطيفا ليس محسبا
هيقاء مقبلة عجزاء مدبرة مياسة جدت ثنياء أنيسايا
ترنو بعيبي عزال تحت سدرته أحسن يوما من الشقا هلايا
يجيد ريم كريم زانه نسق يكاد يلهمه اليقوت المبابا
أما منزلته الشعرية فتتمثل في زيارته للملوك وتقريرهم له واعجاب
الخلفاء بجودة أوصافه الشعرية وقد أحقق ابن سلام بالطبيقة الخامسة
من الشعراء المسلمين وهو العجيز السلوبي ، وعبد الله بن همام
السلوبي ، وأبن لقيط الأسدى .

وفاته :

ولما صار الوليد بن عقبة إلى الرقة ، واعتزل علياً ومعاوية سار

(١) اجتعل : صنع وجعل ، والعادية البئر القديمة اي جعل يسمى
الليل كله مستقيماً كاستقلالية حبل البئر إلى الماء .

أبو زيد إليه ، فكان ينادمه وبينما هو يشرب رفع رأسه إلى السماء
ونظر ثم رمى الكأس عن يده وقال :
إذا جعل المرء الذي كان حازماً يحل به حل الحوار ويحمل
غليس له في العيش خير يريده وتكلفته ميتاً أطف وأجمل
أثاثي رسول الموت يا هرحا به ويا جبدا من مرسل حين يرسل
ثم مات فجأة وجاء أصحابه فوجدوه ميتاً . وهذا يعني انه كان
حياناً خلال سنوات (٣٧ - ٤٠) .

مالك بن الريب ٦٠ هـ م

هو مالك بن الريب بن المازني التميمي^(١) . شاعر من الظرفاء الأدباء الفتاك الشجعان اشتهر في أوائل العصر الأموي وروي عنه أخبار في أنه قطع الطريق مدة ، ورآه سعيد بن عثمان بن عفان ، وهو بالبسادية في طريقه بين المدينة والبصرة فأنبهه سعيد على ما يقال عنه من العيش وقطع الطريق واستحلله واصطحبه معه إلى خراسان ، فشهد فتح سمرقند وتنسق وأقام بعد عزل سعيد ، فعرض في مرو وأحسن بالموت فقال قصيده اليائية المشهورة قال أبو علي القاتلي ، كان من أجمل العرب جمالاً وأبئتهم بياناً وهو شاعر لم يغن الحصائم في الروض الأغن ، ولم يهم مع السواقي في الوادي الصائم ، ولم يدلع مع النجم في الأسحار الندية بعطر الفجر ، ولم يتبع الشمس في العشيا السكري بمخر الغروب ، ولم يرقب طيف الحبيب في الليلى التي تكتم أسرار الموى .

ولئن سابتت شاعرية الشعراء الزمان فسبقت الشباب ، وظهرت بوادرها في مدارج الصبا ، وملأع الفتوة ، فإن هذا الشاعر لم تتبثق شاعريته إلا على سرير الموت ، وشفا الردى ، على عتبة الدنيا خارجاً منها ، وعقبة الآخرة داخلاً إليها ، في الساعة التي يعيها فيها الشاعر ، وبيؤمن فيها الكافر ، ويضعف فيها القوى ، ويفتقرب فيها الغنى ، ولم تتبثق إلا بقصيدة واحدة ، ولكنها كانت نفحة من عالم الخلود مخلدة بما .

قصيدة وهبها للموت إذ تغنى له فيها ، فوهب له الموت بما الحياة .
لم يتقلسف تغلسف المعنى ، ولا تجبر تجبر المتبني ، ولا أغرب
أغرب الدريدي ولكنه جاء بأقرب الانكار في أسهل الانفاظ — فجاءت
من هذه السهلة عظمة القصيدة ، والفنون كلها تموت أن اكرهتها على
الحياة في جو التكلف ، التكلف في التفكير أو التعبير ، أن الفنون لا تحيى
إلا في الانطلاق والحرية — وكل الفنون . الكتابة والشعر والتصوير

(١) الأعلام ج ٦ من ١٣٤ طبعة ثلاثة .

والموسيقى حتى اللقاء يحتاج إلى ذلك وهذا ما عاش فيه الفارس
الشاعر شاعر لم يعش شاعراً ، ولكنك مات شاعراً ، عاش
عمره كله يعني بسانه للحرب ، لا يعني بسانه للحب ، ولا يعمل لوسائل
الأجية وسلب القلوب ، ولكن يعملقطع الطرق ، وسلب التوافل ،
كان لصال من أشهر لصوص العصر ، ثم تاب ومشى إلى الجماد في جيش
ابن عثمان حتى أدركته الوفاة وهو على أبواب خراسان ، في بلاد
لا يعرفها ولا تعرفه ويذكر وهو بها بلده وأرضه ويدرك قيمة تلك
النعم الجسم ، ولا يدرك المرء قيمة النعم إلا بعد زوالها ، وتنثر
في نفسه الألماني ، فلا يتمنى إلا أن يبيت ليلة أخرى بجانب الغنى ،
 وأن يسوق كرهاً أخرى إليه إلى الرعى ، ويذكر كيف كان يزدرى هذه
النعم التي يراها الآن عظمة ، ويتمنى (وليس يتفتح التمنى) لو أنه لم
يسر من تلك الديار ، أو لو أنه طال الطريق حتى يستمع بها ، يقول هذا
بالفاظه ورتبه الباكية ، وقافية الحزينة التي ذكرنا بقصيدة أخرى
من وزنها ورويها لشاعر يمانى غريب هو عبد بفوث :
الا ليت شعري هل أبین ليلة

بحسب الغنى أرجى القلاص التواجيا
فليت الغنى لم يقطع الركب عرضه

وليت الغنى ماشي الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغنى لو دنا الغنى

مسزار ولكن الغنى ليس دائياً
ويلوم نفسه ، ويعجب منها كيف سوغرت له أن يقبل بهذا النفي راضياً
مختاراً ، ويعجب من أبويه كيف لم ينهيه وما الذي جاء به إلى باب خراسان
وقد كان نائياً عنه :

لم ترضي بعث الخسالة بالهدى

وأصبحت في جيش ابن عثمان غازيا

(١) الغنى ثبت من ثبت المادية ، شديد اخضاره ، حامية ناره .

(٢) أسوق سوقاً رفينا والتلاخي : الإبل ، والتواجي : السريعة .

فلله درى كيف أترك طائعا
بني بأعلى الرقمنين ومالينا
ودر الظباء السانحات عشية
يخبرن أنى هالك من ورائي
ودر كبيرى الذين كلامها
على شقيق ناصح لو نهايَا
وكيف يفتش عن بيکى عليه فلا يجد أحدا ، لا يجد من بيکيه
الا سيفه وفرسه ، وليس ينفع الميت أن يذكره ذاكر الا ذاكرا بدعاء أو
صدقه ، ولا يضره أن يتتساه الناس ، وما حفلات التلائين
للحيت ولكن للأخياء يصعدون على قبر الميت ليقولوا للناس انظروا
لينا ، واسمعوا بياننا وصفقوا لنا ، ولقد صدق من قال اذا قال : « كلنا
بيکى في الماکتم وكل بيکى على ميته ، ليس ينفعه بكاء ولا نواح ولكنها
غريزة التمسك بالحياة والاستكثار منها :
تذكرة من بيکى على فلم أجده
سوى السيف والرمج الرديني ^(١) باكيا

وأشقر خنديد يجر عنانه
إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
وما أروع هذه الصورة وأجملها . هذا الحصان يتلفت يعنجه ويمرأة
ويدور وينعطف يفتشن عن صاحبه فلا يلقاه فينسى الطعام والشراب حتى
يبيرج به العطش ، ولا يجد من يمسكيه ، فيجر عنانه إلى الماء ، ولو أن
مصورا صور معنى هذا البيت لكان لوحة من لوحات البقرية ، وهذا كم
هذه اللوحة التي بلغت من الروعة أبعد الغايات والتي تذيب القلوب
فتسللها دموعا يقول :

ولما ترأت عند مرو منيقي وحل بها جسمى وحانى وفانيا
أقول لأصحابي ارفعونى فاننى يقر لعينى أن سهيل — بداليا
فيصاحبى رحلى دنا الموت فائزلا برابية انى — مقيم — لياليما
أقيما على اليوم او بعض لبلة ولا تجلان قد تبين — ما بيا

(١) منسوب إلى ردينة وهي امرأة كانت تتفق الرماح أى تقوها .

وقوما اذا ما استل روحى وهيا
خداونى فجرانى ببردى اليمكما
ويعلم أنه لن يوجد من يقوم على قبره ، ويشيد بذلكه فيرى نفسه
ويكشف عن فحالة بمقابلة :
وقد كنت عطاها اذا الخيل أديرت سريعا الى الداعي اذا ما دعانيما
وقد كنت محمودا لدى الزاد والقرى
وعنى شتم ابن العم والجبار وانيا
وقد كنت صبارا على المحن في الوعى
شقلا على الأعداء عضبا لمسانيا
ويعود الى اتمام هذه اللوحة الرائعة ، فيتصور مسير أصحابه
وبقاءه في هذه الفلاة :
غداة غد يا لهف نفسى على غدر
اذا أدلجوا عنى وخلفت ثاويا
وأصبح ما لي من طريق وتالد
لنجرى وكان المال بالأمس ماليما
ثم يسأل رفيقيه حاجة له هي آخر حاجاته من دنياه ، أن يحملوا نيه
إلى بئر الشبيبك حيث أزدحم بنات الحى ، يملان الجبار ويسقين ،
فيصرخ ، فيبدعن ما هن فيه ، ويختلفن اليه وتسمع زوجته ، فيلقى إليها
بوصاته ، وما وصاته الا أن تتف على القبور عليها تذكرها بقبره الشائع
حيث لا زائر ولا ذاكر :
وقوما على بئر الشبيبك فاسمعوا
بها الوحش والبيض الحسان الروائيا
بأنكمما خلفتم سانى بقفرة
تهمل على الريح فيها السواهيا
ولا تنسيا عهدى خليلى انتى
تنقطع أوصالى - وتبلى عظاما
فلن يعترض الالون بيتسا يجتنى
ولن يعترض الميراث مني الوالىما

(١) رمي المثل الخ : مواضع في ديار قدمه .

(٢) الريم : القبر .

(٣) المراد بها زوجته على عادة العرب في كثافتهم بالازواج .

قطري بن الفجاءة^(١)

هو أبو نعامة قطرى بن الفجاءة ، واسمه جعونة ابن مازن بن يزيد بن زياد بن خنثى بن كابيه بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم بن مرة المازنى المخزرجى . خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولى المراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير فى سنة سنتين للهجرة ، فبقي قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى يسir اليه حيثاً بعد جيش وهو يستظهر عليهم *

وحكى عنه أنه خرج في بعض حروبه وهو على فرس أعجف وبيده عمود خشب ، فدعا إلى المبارزة ، فبرز إليه رجل ، فحسر له قطرى عن وجهه ، فلما رأه الرجل ولد عنه ، فقال له قطرى : إلى أين فقال : لا يستحق الإنسان أن يفر منه *

وكان رجلاً شجاعاً مقداماً كثيراً في الحروب والوقائع قوى النفس ، لا يهاب الموت ولا يخاف ذلك ولا عجب فقد ورث القيادة عن قومه بني تميم فهم محاربون من الطراز الأول في الجاهلية والإسلام وكان ليبيتهم التي عاشوا فيها ، وللأرض التي سكناها ، وتتنقلوا فيما حولها أثر في كثرة حربهم إذ كانت أرضهم في كثير من الأحيان ممراً للغزو المتجمدة إلى اليمن أو الآتية منها إلى هجر والبحرين ثم إلى العراق في الشمال ، وطبيعي أن تنشأ حروب يكون من أسبابها احتكاكهم بالمسافرين في أرضهم وأحتكاك المسافرين بهم ، وتشاحنهم معهم *

ولقد كان بني تميم أيضاً في الإسلام رجال حرب ويكتفى أن نستدل على ذلك بأن كثيراً من فرسان قطر كانوا من بني تميم ، والتاريخ مليء بالواقف والشاهد الذي يصنعوا أبطالاً بني تميم ، إذا فيئ قطرى وقبيلته وتاريχها في الجاهلية والإسلام احاطته بكل مظاهر

(١) وسبب تسمية أبيه الفجاءة أن أيام كان باليمن فقدم على أهل فجاءة نسمى به وبقى عليه أنظر وعيات الأعيان ج ٤ - ٩٣ - ٩٤ دار الفتاحة - بيروت .

(٢) راجع كتاب أيام العرب في الجاهلية .

البطولة ، وأمده بكثير من الفكر الحربي ، وأودعه في نفسه كثيراً من الفروسية والنبل .

فقد كان قطري قائداً بجسمه ، فقد أتى صورة في ملامحه وهيئته ترعب وتخيف ، ولقد كان يهاجم أعداءه أحياناً وهو ملثم ليماجئهم برؤيته وهيئته حين يتربون منه ولا ننسى قول أحد أعدائه :

« إن الإنسان لا يستحق أن يفر من مثلك »^(١) .

هو إذا قائد مكتمل اللياقة البدنية ، وليس هناك شيء يدل على اكمال هذه اللياقة أكثر من أن يعثر جواده فيسقط فيتهمد إلى السفح ثم يظل بكل جسمه المتين القوى لا يؤثر فيه ذلك التساقط وإنما يؤثر فيه عطشه و حاجته إلى قليل من الماء .

إن المارك التي خاضها أبو نعامة ، تدلنا على قائد بعيد النظر سليم الخطة يطمئن جنوده إليه ، ويتحققون في النصر ما كانوا معه . وهو في هجومه ، فارس نبيل لا يبارز أحداً إلا إذا كان له ند يقول هو عن

نفسه :

ألا أيها الباقي البراز تقربين ألا ألقك بالموت الذي أنت
فما في تساقني الموت في الحرب سبة على شارببيه فاسقتي منه وانشرا
فشارعنا قطرى لا يبارز إلا كفتا ، ولا ينزل إلا ندا ، انه يريد
أن يضرب القوى حتى يفزع الذين هم دونه من حوله ، فيسهل عليه
تحقيق النصر في سرعة ، دون كثير من التضحيات يروى ابن قتيبة

أن رجلاً من العرب قال :

« انهزمنا من قطرى وأصحابه ، فأدركني رجل على فرس
قسمعت حسا منكرا خلفي فالتقت فإذا أنا بقطري فبيئت من الحياة
فلما عرفني قال : « أشدد عنانها ، وأوجع خاصرتها قطع الله يديك قال
فعملت نججوت منه »^(٢) .

لقد عرفه قطرى ورأه صيدا هزيلا ، فراح في شيء من العطف
يتصحح ويرشد ، ولقد كان من الممكن أن يرجع عنه ، ولكنه يريد أن

(١) انظر الكتاب للميري ج ٣ من ٢٢٠ والبداية والنهاية ج ٦ من ٢٠ .

(٢) ديوان الأخبار ج ٣ من ١١٣ .

يُشعره بأنه قد نجا بمعاركه هو ، وذلك هو خلق المحارب النبيل تغمره المساعدة حين يرى خصميه قد أفلاد منه . ويعد قطري قائدًا من الطراز الأول ، عرف الممالك والدروب والوعاد والنجد والجبال والآثار وهذه المعرفة الجيدة لأرخن فارس وأصبهان وكرمان وما حولها قد ساعده على سرعة الحركة وعلى الانسحاب المفاجئ ، أحياناً أو المجرم المفاجئ ، أحياناً أخرى .

ولو قدر له أن يصارب بجماعة لها نظام مستتب لتحقيق له ما يريد ، ولكنه كان يحارب بجماعة لم يستقر نظامها ، ولم تأخذ شكل الدولة ولم تكون لجماعتهم عاصمة معينة منها يوجدون إليها يلحوظون على حين كانت خصومهم أصحاب نظام مستقر وعاصمة بعيدة عن ميدان القتال ، يوجه الخليفة منها أو أمره رسائله إلى عماله في الأقاليم ويعمل ويتصرف وهو هادي ، مطمئن وذلك من أهم أسباب نجاح خصوم قطري في تحقيق النصر عليه .
ولو قدر لأى نعامة أن يستولي تماماً على فارس ، وأن يقيم فيها نظاماً مستقراً للتغير وجه التاريخ ولانتصار على بني أمية^(١) .

شعره :

كما قدمنا فإن قطرياً شاعر فارس ملم بقواعد الفروسيّة يقول التبريري عنه « فارس مذكور وشاعر إسلامي مجيد ، سلموا عليه بالخلافة ثلاثة عشرة سنة وكانت له امرأة تسمى أم حكيم وكانت من أشجع النساء وأحسنتهم بديفهم تنسكاً ، وكان قطري يحبها جياً شديداً وله فيها شعر حسن .

وشعر قطري قليل ، وهو وفي قلته لا يتطرق وكثرة الأحداث التي عاشها وعانياها ، والمروى منه كله يدور في الدعوة إلى القتال والحماسة ، ومن البدهي أن نجد له شعراً في المدح ولا في الهجاء ، وذلك لأن منزلته ك الخليفة للخارج وقادته لهم لا تسمح بأن يقول شعراً في المدح ولا في

(١) قطري بن الفجاءة إبراهيم عبد المطلب يومن المؤسسة الامروءية القاهرة .

الهجاء ، هذا الى عقیدته التي تبرأ من الكذب ، والدح أو الهجاء قد يشوبها كثير من الكذب رغبة في ارضاء الممدوح ، وشحمة في اغاظة المجد ولكن لا يبعد ان يكون من شعره الذي لم يصل اليانا شعر في وصف الطبيعة وفي تصوير ما حوله من أنهار وجبال خاصة وانه كان يرتحل من مكان الى آخر ويمر ب تلك المناظر كما لا يبعد أن يكون من شعره ما يصور طموحه وأعماله بل ربما كان منه ما يتحدث عن الحب في اجلال وتقديس *

وأول ما يطالعنا من شعره قصيدة التي قالها في معركة دواب ، وهذه القصيدة قد حاز النقاد في تسيبها الى صاحبها وغالبظن أنها له أعتنادا على ما قاله البرد في الكامل وأبو الفرج في الأغاني^(١)

يقول قطرى :
 وفي العيش ما لم ألق ألم حكيم
 لعمرك انى في الحياة لزاهد
 شفاء لذى بث^(٢) ولا لستقيم
 من الخفرات^(٣) البيض لم ير مثلها
 على ثانيات الدهر جد لئيم
 لعمرك انى يوم الظم وجهها
 طعنان فتنى في الحرب غير ذميم
 ولو شهدتني يوم دواب أبصرت
 غداة طفت علماء^(٤) بكر بن وايل
 وعجنا^(٥) صدور الخيل نحو تميم
 وكان لعبد القيس أول حدتها
 وأحالها من يحسب وسلام
 وظللت شيخ الأزرد في حومة الوعي
 يمع دما من فاقظ^(٦) وكليم
 فلم أر يوما كان أكثر مقعضا^(٧)
 وضمارية خدا كريما على فتنى
 أغدر نجيب الأمهات كريم
 أصيب بدلاب ولم تك موطننا
 له أرض دلاب ودير حميم^(٨)
 فلو شهدتنا يوم ذاك وخينا
 تبع من الكفار كل حزير
 رأت فتية باعوا الله نفوسهم بجنات عنده ونعيهم

(١) الكامل ج ٢ من ١١٧ الأغاني ج ٦ من ١٥١ .

(٢) ذات خفر : اي ذات حياء .

(٣) بث : حزن .

(٤) أصلها على المساء .

(٥) عجنا : أملنا .

(٦) نعوم : فيه اقواء وهو عيب في القافية .

(٧) متعمدا : الميت في مكانه .

(٨) الفاقظ : القليل .

(٩) أقسم مكان .

والقصيدة يعلن فيها علاقته بـأمام حكيم وحبه لها وتعلقه بمحبها ،
 فهو شعلة الشاغل ، وأمله الباقى في الحياة ، ولو لاها لزهد في العيش
وسئم البقاء ، ويقتنن قطري في وصف محبوبته فهو ذات حياء وخفف ،
كريمة الأصل ، حسنة الوجه ، لا يستطيع أن يرى لها شيئاً في اسحاد
المهزون ، وشفاء الريض ، وهي لكرم معتقدها ت Hasan ولاتهان وعما يكن
من ثائبات الد هو ، فلا يصح أن تصاب في شيء والا كان ذلك خسارة
ولؤماً .

ثم تحدث عن شدة القتال وروعة النصر فـأمام حكيم لو شهدت قطرى
وهو يحارب يوم دولاب لرات مهارباً عظيماً سيد الرأى عظيم الطعن
لقد كانت المعركة قوية ، وكانت ضحايا الاعداء كبيرة هؤلاء بنو بكر
وقد طفت جثثهم على الماء وهؤلاء بنو تميم قد كر عليهم الخوارج
فحطموا قوتهم وفرقوا جسمهم ، وأما عبد القيس مكان لها أشد حرب
واعنه ، وكذلك أصحاب أحلاطها ما أصابها ، ولم تنج الأزرد من شدة
القتال فقد كانوا في حومته ، وكأنهم غرق على حين ، ومما جعلهم
يقطلون على الموت ويستغذبونه حتى أن بعضهم كان حين يحس وقع
الصيف أو طعن الرمح يتلو قوله تعالى : « وَعَجَّلْتُ إِلَيْكَ رَبَّ الْمَرْءَى »
والقصيدة تصور جانباً من صفات قطرى فهو رجل يحب في جلال
وعنزة ، وهو فارس نبيل ، يحترم المرأة ويحرص على معاملتها معاملة
كرامية ، وهو فخور بالنصر ، شامت بهذه التفاصيل التي تحالفت على
حرب الخوارج ، مكان جزاها هزيمة منكرة في يوم لم ير مثله في كثرة
القتلى والجرحى ، وهو حزين على من مات من الخوارج واثق بأن
الجنة لهم .

والقصيدة من جانب آخر عدة أفكار يسردها الشاعر سدا في
سهولة وبساطة وهي أفكار لا تدل على تفصيف أو عق ، وإنما هي
أفكار قريبة تسجل في وضوح الأحداث البارزة في يوم « دولاب »
وهي قليلة الخيال يغلب عليها الطابع الفكري العسكري وتتأثرها
بالمقراآن الكريم وقد انتهى يوم دولاب عن قتلى كثيرين ، ودماء سالت
بزيارة من القتلى والجرحى .

كما يصور حزن بعض سيدات الخوارج على قتلعلن غرب سيدة كريمة قد فجعت في فتى شريف أصيل الأمهات كريمها ، فلطمته خدتها حزناً عليه ، وأنه قد أصيب بدولاب وهي ليست له بموطن وكذلك ليست دير حميم بموطنه ، انه هنا يدافع عن عقيدته بعيداً عن وطنه لقد خرج مجاهداً فأصيب بهذه الأرض .

كما يتضمن فيها رأى الخوارج في خصومهم وأئمهم في نظرهم كفار تباخ أعراضهم وحرفهم ونرى في القصيدة أيضاً شعار الخوارج الذي يعتقدونه فهم قد باعوا أنفسهم لله واشتروا جنات النعيم ، ولقد كان ذلك شعارهم عند كل قتال مما جعلهم يحاربون بروح معنوية عالية الحماس الرائع ويتحقق ذلك في قصيده التي بلغت شهرة ذاتية حتى يكاد يحفظها كل من له تعلق بالأدب والشعر : ويتضمن بها في مواطن الجرأة والشجاعة :

يقول:

أقول لها وقد طارت شمامعا
من الأبطال ويهلك لن تراعي^(١)
على الأجل الذي لك لم تتعارى
فما نيل الخلود بمستطاع
فيطوى عن أخي الخ Nun الرابع
فادعوه لأهل الأرض داع
سبيل الموت غاية كل حى
ومن لا يعطيه سلام ويهرم
وما للمرء خير في حياة^(٢)
أبيات قطري في الحماسة (أقول لها ... القصيدة) تتجمع
أجبن الناس ، وما أعرف في هذا الباب مثلها ، وما صدرت إلا عن نفس
أبيه وشمامته^(٣) .

(١) لن تراعي: لن تقترن .

(٢) يعطيه: الاعتناء الموت دون علة .

(٣) سقط الماتع: الشيء الذي لا يفرق بين وجوده وعدمه ولا توقف المتنمية عليه .

(٤) وفيات الآباء: ج ٢، ٢٥٦.

وهي فكرة واحدة متعاكسة ينافش فيها الشاعر مع نفسه فكرة الحياة والموت مستمدًا من هذا النقاش وسائل اقتناع نفسه بالصعود أمام الأداء والصبر في مجال الموت .
والآيات تصور قطرياً إنساناً واقعياً تتعلق نفسه بالحياة وتغافل الموت وهو يجادل نفسه كما يجادل أداءه في شدة ، ويكتف لها عن سخفة شعورها بالخوف ، وتناثة تعلقها بالحياة قوله قصيدة أخرى تتطلع هذا للطريق نفسه ولا تقل قوة عن سبقتها يقول فيها :
لأنك من أحشد إلى الأحجام ^(١) يوم الوعي متغوفاً ... لحملم ^(٢)
ملقد أراني للرماح دريشة ^(٣) من عن يعيى مسرة وأمامي
حتى خبست بما تحدى من حمى أكتاف ^(٤) سريجي أو عنان لجلبي
ثم أصرفت وقد نصيت ولم يصب ... جذع ^(٥) البصيرة قلر ^(٦) الأقدم
إنه هنا يحثهم على التقدم ، ويحذرهم من أن يجعلوا الخوف من الموت وسيلة إلى التخلف عن الجماد ، أن هروب الإنسان من الوعي وغفاره منها لا يبعد بيته وبين الموت ، وكذلك اقتحامه أهواه العرب لا يقارب بيته وبين الموت .

ها هو قطري يعلم أداءه حتى يكون هدفاً لرميهم عن يمينه وشماليه وأماميه ، وتصيبه وتختبئ بدمه أكتاف سرجه وعنان لجامه ولكنه مع ذلك ينصرف وقد أصاب ولم يصب ، ينصرف قوياً في هجومه ، شديداً في أداءه ، والآيات تكشف عن رجل حرص على الموت غوبيت له الحياة ، وعن نفس مطمئنة إلى أن « لكل أجل كتاب » كما أن الآيات تصور برؤية تطري في القتال وروعته في المجهول وتحمله ثأر يصيبه دون ترجمة عن هذه ^(٧) .

(١) الأحجام : التكوس والتاخر .

(٢) الصلام : الموت .

(٣) حرية : غرباً .

(٤) المكتاف المرسج : جوانبه .

(٥) الجذع والقارح من صفات الخيل غالباً يلتجئ الشخص منه في

الرياضة والمارح : الذي بلغ النبلة في السن .

أهم المراجع والمصادر

- ١ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهانى بيروت
- ٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة بيروت
- ٣ - الاصابة في أخبار الصحابة بيروت
- ٤ - لسان العرب لابن منظور دار المعارف مصر
- ٥ - تاريخ الطبرى الطبرى بيروت
- ٦ - المعرون للسجستاني بيروت
- ٧ - حياة المصاحبة بيروت
- ٨ - المجد لابن حبيب بيروت
- ٩ - مجمع الأمثال للميدانى بيروت
- ١٠ - خاص الخاص التعالى بيروت
- ١١ - أدب الكاتب والشاعر ابن قتيبة القاهرة بيروت
- ١٢ - الممدة بيروت
- ١٣ - تاريخ أداب اللغة العربية جرجى زيدان دار الهلال
- ١٤ - أدب مدر الإسلام محمد خضر بيروت
- ١٥ - صحيح البخارى دار الشعب مصر
- ١٦ - ديوان كعب بن مالك بيته المصرية
- ١٧ - زهرة الآداب وثمر الأنباب للجاحظ القاهرة
- ١٨ - البيان والتبيين لابن كثير دار الفكر بيروت
- ١٩ - البداية والنهاية بيروت
- ٢٠ - تهذيب ابن عساكر محمود شيت خطاب بيروت
- ٢١ - قادة فتح العراق والجزيرة

$\equiv \mathbf{0} \cdot \mathbf{0}^{-1} =$

- ٤٣ - مجمع البلدان
 ٤٤ - المسالك والممالك
 ٤٥ - طبقات ابن سعد
 ٤٦ - الاستيعاب
 ٤٧ - سيرة ابن هشام
 ٤٨ - كتاب الزروات
 ٤٩ - تاريخ الرسل والملوك
 ٥٠ - مختار الأغاني
 ٥١ - شرح شواعد المغنى للسيوطى
 ٥٢ - الإرشاد
 ٥٣ - الكامل
 ٥٤ - طبقات فحول الشعراء
 ٥٥ - الأعلام
 ٥٦ - شرح ديوان الحماسة للمرزوقي لجنة التأليف والترجمة بمصر
 ٥٧ - شرح ديوان الحماسة للتبريزى

الفهرن

الموضوع

المقدمة

صفحة

٥

الفصل الأول :

٩	شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم
١١	كعب بن مالك
٢٠	عبد الله بن رواحة
٢٤	القعقاع بن عمرو ٤٠ هـ - ٦٦٠ م
٣٧	سرافة ذو النور بن عمرو فاتح الأبواب توف ٥٢٢ - ٦٤٢ م

الفصل الثاني :

٢٩	شعراء الفتوح الإسلامية
٣١	المني بن حارثة الشيباني
٣٤	سعد بن أبي وقاص / فاتح العراق والجزيرة
٣٧	هاشم بن أبي وقاص الزهري
٤١	فاتح محور ديالي من المدائن إلى جلولاء
٤٤	الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي فاتح منطقة
٤٨	عرب الجزيرة وفاتح أذربيجان وبعض أرمénية
٥٣	شرار بن الخطاب فاتح ماسبيدان في إيران
٥٧	نافع بن الأسود (أبو نجدة)
٥٩	أبو مفرز الأسود
٦٢	ربيعة بن مكتم الضبي
٦٩	خلف بن ندبة
٧٢	عدي بن حاتم الطائي
٧٩	عدي الفاتح والفارس الشاعر

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثالث :
٧٥	شمراء آخررون
٧٧	النمر بن تولب
٨٣	أبو زيد الطائني
٩١	مالك بن السريب ٥٦٠ - ٩٤٠
٩٦	قطري بن الفجاءة
١٠٣	أهم المراجع والمصادر

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٤١٩٣

